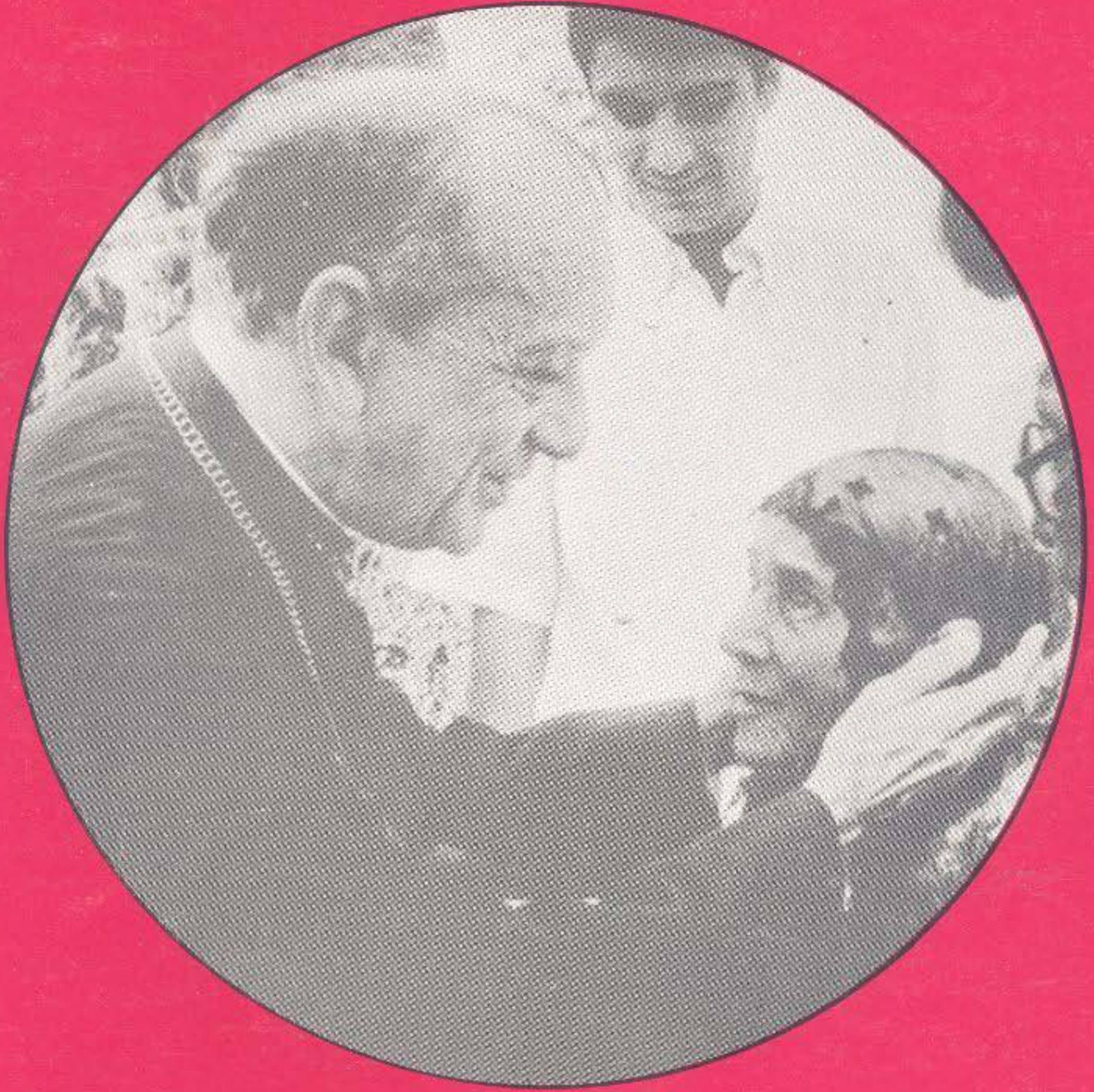


# صرفة الفقراء



هلدر كمارة

تأليف : روفائيل خزام اليسوعي





سلسلة " الايمان والحياة "

- ١١ -

# صرخة الفقراء

( هلدن كماره )

تأليف

روفائيل خزام اليسوعي

١٩٩٢



## المقدمة

في سنة ١٩٦٧ ، عرض أحد أصدقاء الأسقف هلدنر كمارة عليه أن يحرر كتابا عن أعمال صديقه رسول السلام . فأجاب الأسقف على هذا العرض اللطيف قائلا : " انتظر موتى قبل أن تكتب سيرتى . فيتخيل الى أن مطالعة سيرة حياتى وأنا حى يجعلنى أشعر بانى حاضر فى زمن ازاحة الستار عن تمثالى ، أرجو أن تعفينى من هذا الازعاج " . ثم انتهى الأمر بكمارة ، الذى كان حينذاك رئيساً لأساقفة ريسيف ، فى البرازيل ، أن اقتنع بأن الكتاب الذى سيتكلم عن أعماله فى وطنه لن يفيد سمعته أكثر مما يساعد على " ترويح الأفكار الايجابية السليمة" . فظهر الكتاب تحت عنوان : " السيد هلدنر كمارة ، أو عنف رجل مسالم " .

وفى سنة ١٩٨٧ ، استأذن كاتب فرنسى الأسقف بتحرير كتاب عن حياته . وجاء جواب الأسقف على الفور بالرفض . ولكن الكاتب ألح فى الطلب حتى أقنع السيد هلدنر كمارة بأن شهادة حياته وأعماله ضرورية ومنفيدة وأنه حان أوانها . فرد على الكاتب الفرنسى قاءلاً : " فلا مانع ، ولكن أرجو أن تعلم أن أصدقائى وكل من يعرفوننى قد بالغوا كثيرا فى هباتى وأشغالى وأعمالى . وأرجو ألا تبالغ مثلهم .

والحق إنه يوجد أشخاص غير قلبيلين مثل هلدر كمارة فى العالم ، يضحون بحياتهم من أجل إخوانهم وأخواتهم . إلا أن دعوة بعضهم دعوة نبوية ، ولهم هبات خاصة تتناسب مع هذه الدعوة . وها هو الأسقف هلدر كمارة ، الذى مدّه الله بهبة الاتصال الحسن والسريع بالآخرين ، اتصالاً سهلاً وعميقاً ، لأنه شبه نبيّ ، وكان فى الوقت نفسه خطيباً وممثلاً وشاعراً ، يكسب الناس ويقنعهم بضرورة الرأفة واللين ، وله حاسة الحركة والكلمة ، والأمثلة والفكاهة ، وتفجر كل هذا بادرة اللطف البرازيلية . وقد وفرت له هذه الحسنة كل وسائل النجاح فتطفر على السطح أعماق المعتقدات التى تسكنه والتى - لحسن الحظ - تناسب مطامع ومتطلبات زمننا . ولتا أن نسأل ، من هذا الشخص ؟

هذا الشخص هو صوت من ليس لهم صوت ، ومحامى الدول النامية فى زمن تفصل فيه هوة عميقة بين بلاد الرخاء واليسر وبلاد الفقر والبؤس .

لقد صمد هلدر كمارة فى وجه الحكم المستبد وعرض حياته للخطر ورفض رفضاً مطلقاً ألوان التعذيب التى أصبحت نظام حكم فى نحو خمسين بلداً حينذاك .

ولم يكن حصول هلدر كمارة على جائزة السلام الشعبية إلا نتيجة لاستمراره فى التنديد بسباق التسليح وبيع الأسلحة اللذين يغديان كل أنواع النزاع بين الشعوب .

كان هلدر كمارة الرمز الحى لعدم العنف الذى يدعو إليه الالنجيل ، والذى قال  
فالنسا البولاندى ... " إنه سيكون " سلاح القرن الواحد والعشرين " والذى سمح فى  
القلبىن لشعب كامل ، عارى الأيدى ، أن يوقف دهايات الجيش وأن " يضع التقدير  
عن عرشه " .

ويؤكد هلدر كمارة بوصفه رجل دين احتياج الكنيسة إلى تهدئة وتعجيل معا :  
لأنه يجب أن يكون تحرير الانسان روحياً ومادياً وأن يغذى كفاح محريره بالصلاة  
والتأمل .

أجل ، لا شك فى أن هلدر كمارة شبه نبي فى عصرنا .





## نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية

لا يتسع لنا المجال هنا لتقديم تاريخ أمريكا اللاتينية بالتفصيل ، فنكتفى بالتركيز على جذوره الأولى :

منذ أكثر من أربعة قرون كان للكنيسة الكاثوليكية دور رئيسي في تاريخ " أمريكا اللاتينية " وفي إعلان بشرى الخلاص لها ، وذلك من خلال الوسائل الأسبانية والبرتغالية . إن التاريخ العنيف لاستعمار أمريكا اللاتينية ، الذي لعبت فيه الكنيسة الكاثوليكية دوراً أساسياً له أهمية قصوى عند أي باحث في التفكير اللاهوتي عن التحرير في أمريكا اللاتينية .

لقد شهد القرن السادس عشر توسعاً سريعاً في الرسائل المسيحية بسبب تزايد سيطرة أسبانيا والبرتغال على الأرض في هذه المنطقة .

يقول أحد الكتاب : " عندما قامت حروب الاستقلال في القرن التاسع عشر كانت الكنيسة هي أكبر مالك للأرض وفي نفس الوقت أكثر القوى المقارمة للتغيير في القارة كلها .

إن الاحتلال الأسباني والبرتغالي لأمريكا اللاتينية لم يؤدّ إلى عصر ذهبي في معاملة السكان الأصليين ، وسبب وجود ظروف موضوعية أدت إلى ظهور شهداء وأنبياء ينظر اليهم اليوم على أنهم أجداد وآباء حركة "لاهوت التحرير " الذي نشأ

فى أمريكا اللاتينية . ومن أمثال هؤلاء الأجداد :

" بارتولومى دى لاس كساس " الذى أعطى الحرية لعبيده الأفريقيين وقرر أن يمارس التبشير بالطرق السلمية بين السكان الأصليين ، واستحق أن تطلق عليه السلطة المدنية والكنسية لقب " المدافع عن الهنود " . وقد توفى عام ١٥٦٦ . ويعتبره الكثيرون اليوم مؤسس " لاهوت التحرير " فى أمريكا اللاتينية .

وهناك أيضا أسقف نيكارجوا فى سنة ١٥٤٠ ، " أنطونيو فالدوفيزو ، الذى حاول اقناع السلطة الأسبانية بأن توقف المعاملة الوحشية للسكان الأصليين ، وقد قتل لهذا السبب .

وفى القرن العشرين ، ونحن قرب نهايته ، تبدو الفروق بين الطبقات شاسعة فى المجتمع الواحد ، ونتائج تبعية شعوب أمريكا اللاتينية للدول الغنية ، وخاصة الولايات المتحدة ، فادحة . وهذا يؤدى بدوره لوضع اجتماعى متوتر يتيح ظرفا موضوعيا لنمو الوعى لدى الطبقات المظلومة ويزيد الرغبة فى التخلص من هذه الأوضاع الجائرة . فيصبح من المحال الاكتفاء بتصريحات كنسية عامة عن المحبة والاخاء فى الحقل السياسى والاجتماعى ، بل يصبح من المحال أيضا بقاء الكنيسة فوق أشكال التعارض والظلم وصور الكفاح الشعبى .

وفى هذا الصدد يقول " چوتبيريز " : " إن المحبة الانجيلية تفرض على الكنيسة الانحياز لجانب التحرر من جميع ضروب الاضطهاد : إن السبيل الوحيد أمام الكنيسة لقطع صلتها بالنظام الحالى هو أن تفضع الظلم الفادح الذى يستند إليه

هذا النظام . "

أدى هذا الموقف المتوتر الملىء بالحركة الخلاقة - والرغبة العارمة في تغيير البنية القديمة بأخرى جديدة تتناسب مع متطلبات الطبقات الشعبية - إلى ابداع شكل أصيل من أشكال النضال . ويضاف إلى ذلك حدثان على جانب كبير من الأهمية ، نقصد بهما " المجمع الفاتيكاني الثاني " و " مؤتمر مدينة مدلين .

أما الأول ، وهو " المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني " فلا يخفى على أحد التجديد واشعاع الحياة اللذان أشاعهما في فكر الكنيسة ، كما أوحى به في الوثيقة " فرح ورجاء " إلى جانب الرسائل البابوية السابقة واللاحقة للمجمع ، وهي ، على سبيل المثال لا الحصر : " أم ومعلمة " للبابا يوحنا الثالث والعشرين وفي " تقدم الشعوب وارتقائها " للبابا بولس السادس . أما الثاني ، هو " مؤتمر مدلين " وهو المؤتمر العام لأساقفة أمريكا اللاتينية المنعقد في " مدلين " في جمهورية كولومبيا ، سنة ١٩٦٨ ، ويقولون عنه أنه : " فاتيكان ثاني أمريكا اللاتينية . ويقول Gustavo Gutierrez : " لم يكن من الممكن أن يوجد مؤتمر مدلين دون فاتيكان ثاني ودون البابا يوحنا الثالث والعشرين . "

إن أهم المجازات مدلين أنه ركز الانتباه على وضع أمريكا اللاتينية ، وخاصة الانسان على القهر وظلم الانسان . فقد كان شعار المؤتمر : الكنيسة في الحاضر : تحويل أمريكا اللاتينية في ضوء المجمع . فقد تم إصدار ست عشرة وثيقة تتراوح في موضوعاتها بين العدالة والسلام والتعليم والشباب إلى الليتورجيا والحركات العلمانية وفقر الكنيسة . ولذا يبدو جلياً ، عند قراءة هذه الوثائق ، أن أغلبية

ال ١٤٥ كاردينالا وأسقفيا وكاهنا الذين حضروا هذا المؤتمر قد تأثروا بصورة ايجابية وعميقة "بالمجمع الفاتيكاني الثاني" . ففي مدللين ، كان قادة الكنيسة قد عزموا على أن يوضّحوا بمنتهى القوة وبعبارات لا لبس فيها دور الكنيسة في مواجهة مشاكل المجتمع السياسي والاجتماعية التي عرفوها من مصدرها الأصلي .

لابدّ هنا من الالتحاق في أن لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية - على وجه الخصوص - لم يكن له أن ينشأ لولا "مجموعات القاعدة الكنسية" . ورغم أهمية المجمع الفاتيكاني الثاني ومدللين ، كعوامل مشجعة ، فأنهما لم يصنعا لاهوت التحرير ، الذي انبثق من حياة المقهورين والفقراء ، وبصفة خاصة من "مجموعات القاعدة الكنسية" . وكلّ مجموعة كانت مكوّنة من عدد قليل من أشخاص مظلومين يحاولون ربط قناعاتهم المسيحية بحياتهم اليومية . والمجموعات الصغيرة ، خاصة في المناطق الريفية وأطراف المدن ، تكونت بواسطة مسيحيين بسطاء جمعوا بين إيمانهم ومسئوليتهم حتى يجعلوا المسيح متجسداً في حياتهم .

وقد تكونت شبكة من "مجموعات القاعدة" غطت أمريكا اللاتينية بأسرها . ففي نهاية السبعينات ، كان في البرازيل وحده ما يقرب من ثمانين ألف مجموعة . - وأنت مجموعات القاعدة مكان ولادة ونمو "لاهوت التحرير" لأنها تمثل "عمل الفقراء" حيث لاهوت التحرير ليس مجرد أفكار . ويستعمل كثير من هذه المجموعات طريقة "باولو فريري" الذي أدخل "التوعية" كعملية تربوية يعنى بها الناس أهمية دمج عقيدتهم الايمانية بحياتهم الاجتماعية والسياسية اليومية .



وللبابا بولس السادس حديث عن هذه المجموعات يقول فيه ما معناه أن بين هذه المجموعات فروقا كثيرة بحسب المناطق ، وأنه يوجد أحيانا مجموعات مختلفة في منطقة واحدة . ففي بعض المناطق تزدهر هذه المجموعات داخل الكنيسة متضامنة ، تتغذى ظروف حياتها من تعاليمها ، وترتبط برعاتها ، وهي تبحث عن بعد إنسانى ، من الصعب أن تقدمه المجموعات الكنسية الكبيرة ، خاصة في المدن الكبرى . وهذه المجموعات تجمع أناسا يضمهم الكفاح من أجل العدالة ومساعدة المحرومين ، وتجمع أحيانا مسيحيين في أماكن تعاني من نقص الكهنة ، ويجرى ذلك ضمن المجموعات الكنسية الكبرى ، وخاصة في الكنائس المحلية .

وفي مناطق أخرى تجتمع مجموعات بروح انتقاد عنيف للكنيسة التي يتهمونها بأنها كنيسة " مؤسسية " . وتكون هذه المجموعات متحررة من كل البنى وتستلهم الانجيل فقط . ولذا ، ليس من النادر أن تصبح ضحية لاختيار سياسى أو ضحية تيار أو نظام أو حزب ، لدرجة أنها تكون أداة في يده .



## الفصل الأول

### ابن القرية البرازيلية فورتليزة

كانت مدينة " فورتليزة " قلعة برتغالية قديمة فى القرن السابع عشر ، وأصبحت اليوم عاصمة " سيارا " فى مقاطعة شمال شرق البرازيل . هل يطلق فيما بعد على أحد شوارعها أو ميادونها اسم " هلدر كمارة " ؟ لا ندرى . ولكن ما نعرفه هو أن هلدر كمارة ، الذى أصبح رسول الفقراء المشهور ، ولد فى فورتليزة يوم ٧ فبراير سنة ١٩٠٩ . وكانت والدته تريد أن تسميه " خوسيه " ، ولكن والده ، وهو يتصفح القاموس ، وقع صدفه على اسم أعجبه وهو " هلدر " ، اسم ميناء صغير فى شمال هولندا ، مشهور بصيد السمك بالقرب من ساحله . وفعلا ، سُمى الصبى بهذا الاسم . ويقال إن الهولنديين يصيحون أحيانا قائلين : " يا لها من سماء هلدر " عندما تكون السماء صافية ، بدون غيوم . ولكن ، لم يتوقع أبو هلدر أن هذا الاسم ، الغريب فى البرازيل ، سيكون بشير خير لهذا الطفل ، الذى أصبح فيما بعد رسول " الصفاء " بين الناس .

ولكن ، فى الواقع ، كان الأفق مظلماً فى منزل أسرة كمارة : لأن الوالد كان كاتباً فى مؤسسة " بوريس " ، وهى شركة تجارية لا يكاد يكسب فيها قوت عائلته ، فكان ينقصهم المال أحيانا .

يقول هلدري : " وحينذاك ، كانت أمنا تجمعنا نحن الأطفال وتعلن لنا : " سوف نضطر إلى حذف شيء من طعامنا : يمكننا مثلا أن نستغنى عن الزبدة أو عن الفاكهة . وهكذا كانت تشركنا في القرار . " إن أمنا ولدت في وسط مقاطعة الشمال الشرقي خلال جفاف سنة ١٨٧٧ الشديد ، واضطرت عائلتها أن تهرب إلى فورتليزة لتنجو من الموت جوعاً .

ويتابع هلدري : " أنجبت أمي ثلاثة عشر طفلاً بقي منهم ثمانية ، ومات الخمسة الباقون في سن الطفولة : حيث قضت عليهم الحمى في تسعة وعشرين يوماً ، ولولا وصول اللقاح في اليوم الثلاثين لكنت لقيت أنا أيضاً نفس المصير . "

### مدرسة في المنزل

أول مدرسة لهلدري كانت منزل أبويه . فلم تكن في عصره مدارس للأطفال في القرية التي ولد فيها . فكان مصير عدد لا بأس به من الأطفال أن يظلوا أميين . عندما وصلت راهبات القديس منصور دي بول من فرنسا إلى فورتليزة ، كان أول طلب وجهه الشعب إليهن هو أن يفتحن فصلاً . وحتى تعالج الدولة مؤقتاً نقص معاهد الدراسة ، كانت تعطى المدرسين غير الرسميين معونة خاصة تسمح لهم بأن يحصلوا على منزل واسع بعض الشيء ليدرسوا فيه .

ويتابع هلدري : " هكذا كانت والدتي ، الحاصلة في شبابهها على شهادة من دار المعلمين ، تجمع أولاد الحمى لتعلمهم في الجناح الخارجي من البيت ، نظراً لأن



الجناح الداخلى كان مخصصا للعائلة . وكانت مربية ممتازة ، فقد علمتني ليس فقط اللغة البرتغالية ومبادئ الرياضيات والجغرافيا والتاريخ ، ولكن أعطتني أيضا دروسا فى طريقة الحياة مع انفتاح ذهن نادر فى ذلك العصر . فى أحد الأيام - وكنت فى السادسة من عمري - قالت لى وهى تظهر لى وجهها : " يا بنى ، سوف تقابل فى حياتك عددا كبيرا من الناس يقولون لك إن الوجه هو خلق الله الحقيقي " . ثم ، مشيرة الى صدرها ، قالت : " هنا ، لا نعرف بالضبط ... " . ومدت حركة يدها إلى أسفل وقالت : " هناك ، يقال إنه ميدان الشيطان ، ولكن لا ، يا بنى ، من الرأس الى الأرجل ، كل شيء خلقه الله " . وكان هذا درسا عظيما فى عصر يلقن فيه أن كل شيء كان شرا وسبب خطيئة ، وخاصة الجنس .

" فى نظر والدتى ، اذا وجد شر فى العالم ، ووجد أشخاص أشرار ، فهذا يرجع خاصة الى الضعف البشرى . وكانت تقول لى : " عندما يظهر لك أن شخصا شرير ، فلو اقتربت منه وحاولت أن تعرفه من الباطن ، لوصلت إلى اكتشاف أن هذا الشر هو فى الغالب ضعف . فالمسيح نفسه قال على الصليب عن جلاديه : " يا أبت ، اغفر لهم ، لأنهم لا يدركون ما يفعلون " . ( لوقا ٢٣ : ٣٤ ) .

وكون هلدر تلميذ والدته لم يسهل له التلمذة : فكانت أمه تطالبه بأكثر مما تطالب به غيره ، قائلة له : " لا بد من أن تعطى المثل لغيرك " . وحدث ذات يوم أنها طالبتنى بما يفوق قواى فى الواقع ، فبكيت . فذهبت بى خارج الفصل إلى المنزل . وفكرت أنا فى أنى للمرة الأولى سوف أذوق الضرب . ولكنها قالت لى : سامحنى يا ولدى ، إنى طالبتك بما يفوق قواك . " - " اعترف بخطيى وأطلب

وأطلب السماح ، يا له من درس عظيم فى التواضع ! ”

كان هلدر ينمو ويكبر ، فعهدت به أمه الى معلمة أخرى فى المدينة لتكملة تكوينه ، فيقول : ” حظيت بمعلمة بارعة ، ولكنها لا تعرف التدريس الا بموجب بعض .. مشيرات ، خاصة باستعمال العصا . - فى يوم السبت كانت تجمع الأولاد لجلسة تأديب متبادل . كان على أحدنا أن يطرح سؤالاً على زميل له . وإذا غاب الجواب أو كان خاطئاً ، وجب على من طرح السؤال أن يضرب زميله . وفى مرة ، لما عجز عن الجواب الزميل الذى طرحت عليه سؤالاً ، قالت لى المعلمة :

إنك تعلم ما عليك أن تفعله .

فأجبت : عفوا يا سيدتى ، أنا غير كفء أن أضرب أحدا .

فقالت لى : إذن سوف تُضرب أنت .

فأجبت : أفضل ذلك ألف مرة .

وعليه ، أوقفت المعلمة الحصّة لأنّ ، فى نظرها ، كان عصياني فضيحة . فأتت تزور والدتى ، مصعّمة أن تطردنى من المدرسة . ثمّ اجتمعت السيدتان فى حجرة مدة ساعة كاملة . وبعد انصراف المعلمة قالت لى والدتى : ” إنّها تقبل أن تبتيك فى المدرسة ، وسوف تتوقف عن الضرب بالعصا . ”

والد هلدر

كان والد هلد يعارض تدخل الاكليروس فى الشؤون العامة ، وذلك لأنه لم

كان يحوى معيدا عائليا صغيرا ، بصليب كبير وتمثال للعدراء وصورة للقديس فرنسيس الأسيزى . - أمام هذا المعبد ، كان الوالد يجمع مساء كل يوم من أيام شهر مايو ، المكوس للعدراء مريم ، كل أفراد عائلته لتلاوة الوردية باللغة اللاتينية ويضيف اليها طلبه مريم وترنيحة اكراما لها . هكذا ، فى نظر هذا الرجل الذى لم يقم بمراسيم ديانتته ، وكان يلبس فى اصبغه خاتما مدموغا برمز الماسونية ، لم يكن الله فى اعتقاده مجرد " المهندس الكبير " كما يسميه الماسونيون .

ويقول هيدر : " كانت رغبتى فى الكهنوت منذ الصغر وعندما بُحْتُ فى حضور أبى برغبتى أن أكون كاهنا ، سألتنى ، رغم أنه لا يؤيد المشروع ، : " هل تعرف واجب من يريد أن يكون كاهنا ؟ أجبتة : " أن يرفض كل أنانية " . و " ما هى الافخارستيا ؟ " - " الافخارستيا هى المسيح نفسه ، والأيدى التى تلمس المسيح مباشرة لا يمكنها أن تتنجس بالبخل ، الذى لا بد من أن يتجنبه الكاهن ، وأن تكون يدها دائما مفتوحة لخدمة الآخرين " . بعدما انتهى أبى من كلامه ، قلت له بتأثر : " أريد أن أصبح كاهنا بهذه الصفات عينها " . فنظر اليه أبوه وتابع بكل بساطة : " اذن ، فلتكن معك بركة الله ... "

" هذه هى اللاكرى التى احتفظت بها من لقاءتى مع أبى : كان رجلا نزيها ، سخيا وعادلا . علمنى كيف أمكنه أن يكون طيبا رغم أنه لم يكن يتردد على القداس ، ولاحظت طوال حياتى أنه يمكن لشخص أن يكون كاثوليكيا ممارسا لدينه ويظل أنانيا . "

وفيما بعد ، ارتدّ أبى ، أعلن أنّه شرع فى ممارسة الدين . ولكن ، عندما كانت إحدى أخواتى على وشك أن تصبح راهبة ، رفض أن ينكر علنا آراء الماسونية ، وذلك حسب متطلبات زمنه . فقال لأختى : " يا ابنتى ، إننى أقبل أن أتقدّم للأسرار وأن أتلو قانون الإيمان ، ولكن لا يمكننى أن أنكر علنا مبادئ الماسونية ، حيث لم يطلب منى قط أن أكون ضدّ الله أو ضدّ الكنيسة . لو أنكرت هذه المبادئ لثنت أصدقائى وذكرى أبى وكل أسرتى . " ولحسن الحظّ وجد كاهن متفاهم قال لأبى : " لا تعلن شيئاً ضدّ الماسونية ، لكن اتل فقط قانون إيمانك . "

ويتابع هلدنر " سوف يعطينى الله النعمة أن أرى أبى يترك الحياة بين يديّ . كان قد دهمه مرض الموت وهو ينزل من السلم ، وكأنتى أسمع بعد يتمتم ، واضعاً يده على قلبه : " لتكن إرادة الله ... لتكن إرادة الله . " وفجأة ، وقفت الكلمات على شفثيه : " لتكن ... " وسقط من بين يديّ . طلبت الطبيب وأعطيت أبى الأسرار الأخيرة . ظل طوال الليل فاقد الوعي . وفى الصباح ، حوالى الساعة الثامنة ، فتح عينيه وقال : " يا بنى ، قل ما حدث لى ، قل لى الحقيقة ، لا تخف عنى شيئاً ... " فشرحت له ما حدث ، وحينئذ ، بكلّ هدوء قال : " كان الله قد أعطانى الحياة ، وهو يستردّها الآن ... ليعطينى غيرها . " وكانت هذه كلماته الأخيرة ! "

لقد كان هلدنر كمارة مدينا لأبيه ، ولو جزئياً ، بميله نحو المسرح . فهو الذى كان ينظم شبه لياترچيات مهيبه . كان والده ناقد مسرح للصحافة المحليّة ، فكان يذهب أحيانا بابنه هلدنر الى عروض المسرحيات . ومن جهة أخرى ، كان عمّ هلدنر ، كارلس كمارة ، مؤلفاً مسرحياً . يقول هلدنر : " كنت أرغب فى الذهاب



الى حفلات بروقات مسرحياته الأخيرة . وكان عمى نفسه المخرج وهو الذى يختار المشهدين . فكنت أتصور أنى أشهد عملية خلق ، وكانت تهتز لها مشاعرى . "

وكبر الشاب هلدر فى جو ناطق بالفرنسية ومناصر للفرنسيين . يقول هلدر : " فى فورتليزة ، كانت تسود اللغة الفرنسية وليست الانجليزية ، بينما كانت إنجلترا دولة كبرى . فى الغالب وتشعر أمريكا اللاتينية بألفة أعظم للبلاد اللاتينية ، وفرنسا بصفة خاصة ، من ألفتها للعالم الانجلوسكسونى . - كانت عائلتنا اليسورة تستهلك منتجات فرنسية : فكانت مياهها المعدنية هى مياه فيشى ، ونبيذها الفاخر كان شميانيا الأرملة كليكوه . وكان صاحب العمل الذى يعمل عنده أبى يتسلم من فرنسا جرائداً وصحفاً مصورة . وأنا كنت أتبع بولع تطورات الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وكنت مناصراً لفرنسا .

وكان أحد اخوتى ، چيلبير ، ناقداً أدبياً ، يحصل على كتب برازيلية وفرنسية . وهو الذى أيقظ ذوقى للأدب وأدخلنى فى الأدب الفرنسى . فقرأت تقريباً كل مؤلفات سانت بوڤ ، Sainte - Beuve ، الذى كان فى نظر أخى نموذجاً للنقد الكلاسيكى . وفيما بعد ، فى ريو ، عرفت المرحلة التى أحببت فيها كلوديل Claudel وقرأت له ، L'annonce faite à Marie, L'otage ، فيها كلوديل وقرأت له ، Les odes وكانت مرحلة امتزج فيها حبى لـ Peguy et... de Saint - Exupery وفى مرحلة متأخرة ، التقيت بـ Le Milieu divin et la Messe sur le monde ودهشت بفرح أن أعرف نفسى تلميذ Teilhard de Chardin .

## في الاكليريكية

ودخل هلدن كمارة الاكليريكية الصغرى في الرابعة عشرة من عمره . ولما كان أبواه عاجزين عن دفع نفقات الأكل والسكن ، دفعتها جمعية الدعوات . - وكان هلدن تلميذا بارعا في اللغة اللاتينية والآداب . ولكن حالته في النظام لم تكن مرضية فكان يصعب عليه الصمت في الأروقة ، لأنه لا يفهم هذا التدبير . فكان يتكلم ، فيحصل على درجة منخفضة في السلوك ويفقد حقه في الرجوع الى المنزل مرة في الشهر . ولم يقبل أيضا في فرقة خدام مريم فكان لابد أن ينتظر دخول الاكليريكية الكبرى لتصحيح حالته .

كان هلدن يقول عن معلميه في الاكليريكية الكبرى : " أنا مدين كثيرا لمعلمي العازرين ، أبناء القديس منصور دي بول . كان أول رؤسائي هولنديا ، واسمه جيلهرم فاسن Guilherme Vassen . وفي ذات يوم ، أعلن هذا الرجل ، الذي كنا نحترمه جميعا ، أنه سيسافر ليكون مرسلا . وكنت مكلفا بأن أقدم له كلمة وداع باسم جميع الاكليريكيين . فقلت : " اذهب ، يا أبت ، إن أبناءك ينظرون إليك كما كان أبناء الصليبيين ينظرون الى آبائهم ... سوف نتبعك بالأعين ، ولكن سنكون معك بالقلب . "

وكان الرئيس الثاني فرنسيًا من مدينة " ليل " واسمه طوبيا ديكويت Tobie Dequidt . كان الناشر الفرنسيون يرسلون اليه كتبًا ، وكان يسمح لي بفتحها وفصل صفحاتها عن بعضها وقراءتها . وفي ذات يوم ، جاءني بكتاب كان قد ثبت بمشبك عدداً من صفحاته وقال لي : " لا تقرأ هذه الصفحات المشبكة ، إنها

لاتناسب سنك . " فقلت : " يا سيدي ، اسمح لي . فإذا قرأته ووصلت إلى هذه الصفحات ، سوف تشرد مخيلتي إلى أبعد مما كتبه المؤلف . فالأفضل - بعد إذنك - أن أترك الكتاب أو تسمح لي بقرأته كاملاً . وسوف أرجع إليك لنتناقش مضمونه . وعليه قبل الرئيس فوراً ما عرضته عليه . "

وحدث حادث آخر : في الاكليبريكية الكبرى كان لكل طالب طاولة ومكتب مغلق بقفل له مفتاحان ، مفتاح للاكليبريكي وآخر للرئيس . وفي صباح يوم ، كنت على وشك أن أفتح مكتبي فقال لي جاري : " يبلغك الرئيس أنك إذا لاحظت أن شيئاً ينقص في مكتبك ، عليك أن تبحث عنه لديه . " وعندما فتحت مكتبي لاحظت غياب كراريس وأوراق شخصية . ولكني لم أذهب لأطلبها من الرئيس . مرّ أسبوع ، بل أسبوعان ... وفي أحد الأيام قابلني الرئيس وقال لي : " قلت إنه يجب عليك أن تأتي للملاقاتي . " فأجبت : " عفوا يا سيدي ، اني لم أجرو على ذلك لأنني أظن أنه قد يشق عليك الاعتراف بأنك أتيت إلى طاولتي ليلاً كسارق لتفتح مكتبي وتأخذ منه أوراقى . لم أرد أن أكبدك هذا الخزي . "

وبدلاً من أن يفضب ، قال لي هذا الرجل ، الذي كان فضلاً عن ذلك بارع الخلق : " أنت على صواب ... أنت على صواب ... ولكن هل تعرف أنني اكتشفت قصائد شعرية في خزانتك ؟ وهذا يشغل البال . لأنه إن أطلقت لمخيلتك الحبل على الغارب قد تعرض كهنوتك للخطر . "

- شيء غريب ، يا سيدي إنك تكلمني كأنك شخصياً لست شاعراً .

- ولكن ، كيف تعرف أنني شاعر ؟

- هذا واضح : إن حساسيتك للطبيعة والفنون ، هي الشعر !

- وهذا بالضبط ما أودّ أن أحملك منه ، لأننى أعرف بالاختبار كم هو صعب أن نسيطر على مخيلتنا .

- ولكنّ المخيلة موهبة من الله ، إنها تساعدنى على أن أرى الأشياء الجميلة وأن أفهم الخلق .

- ولكن عندى طلب أوجهه اليك : " حاول ألا تكتب قصائد شعرية حتى رسامتك الكهنوتية " .

فوعدت الرئيس بذلك . كنت أحترم هذا الرجل الذى ، قبل المجمع الفاتيكانى الثانى ، كان يسمح لطالب فى الاكليريكية أن يجادل معه ويقبل أن يعترف بأخطائه .

ومن الأكيد أن الشاب هدر كانت له شخصيّة لا بأس بها ، كما تظهره واقعة أخرى حصلت فى سنة ١٩٢٧ :

فى الثامنة عشرة من عمره ، كان فى مرحلة دراسة الفلسفة ولم يصل بعد الى رتبة " قص الشعر " ( وهى أبسط الدرجات الاكليريكية ) . وفى دار المعلمين القائمة فى مدينة فورتليزة ، كانت تدرّس الفلسفة امرأة تلقن علماً مطبوعاً بطابع المادّية . فلما اطلع هدر على المذكرات التى يدونها تلاميذ هذه المدرّسة أثناء حصصها ، ذهب لمقابلة الرئيس وقال له : " لا بدّ من ردّ فعل على هذا التدريس ومساعدة الطلاب على المعارضة ، ووافق الرئيس على ذلك . وحينذاك ، خرد الشاب كعمارة مقالا فى الجريدة المحلية تحت اسم مستعار " ألكودا سيلثيرة " . وردّت المدرّسة على المقال ، رد هدر بدوره . واستمرّ الجدل ، ونشبت الحرب



الكلامية . ومحمّست المدينة للفضيلة ، وانقسم الناس إلى فريقين : فريق يساند المدرسة التي تحبّذ المادية وفريق يساند الشخص الغامض " الكودا سيلفيرة " .

ويقول هلدر : " فى أحد الأيام ، دعانى النائب الأسقى ، وهو سيدنا تازوزة براجا . وكنت فخوراً وأقول فى قرارة نفسى : " لا شك فى أنه يريد أن يهتئنى " فتقدّمت إلى سيادته ، وكانت مقالاتى معروضة على مكتبه . فسألنى :

" هل أنت حقاً صاحب هذه المقالات ؟

فأجبت فى زهر : " بالطبع يا سيدى "

فتابع سيادته : " إذن لابد أن تعرف أن مقال أمس كان آخر مقال تكتبه " .

فأجبت : " ولكن هذا محال ، يا سيدى . ألم تقرأ " المحرنات " التى نشرتها اليوم هذه السيدة فى الجريدة ؟ " ومقالى للغد جاهز ، يمكننى أن أريه لسيادتك . "

فقال: " إئى أكرّر إنك نشرت أمس آخر مقال لك . "

فخرجت من مكتبه وأنا تحت تأثير عاصفة تمرد باطنية . كان الشيطان يوحى الى " بأن سبب هذا التصرف هو أن النائب الأسقى أخو زوج المدرسة التى نحارب أفكارها " . ومررت صدفة آنذاك أمام المعبد ، فدخلته باحثاً عن قليل من الهدوء . ووجدت نفسى أمام صورة للعدراء ، فقلت لها : " يا أمّ ، لن أخرج من هنا قبل أن أحرّر من التجربة . أشعر بأننى فى مفترق الطرق : لو دهمتنى الكبرياء لأكاد أفقد دعوتى ، بل إيمانى نفسه ! " ولكن العاصفة استمرت ، فكنت مضطرباً ودائم الحركة ، وبقيت ساعة على هذه الحال .

ولكن ، فجأة تذكرت المجيل اليوم ، وهو المجيل يوم ٢٩ يولية لذكرى عيد القديسة مارثا ، التي قال لها يسوع : " مرثا ، مرثا ، تهتمين بأمر كثيرة وتضطرين بها ، مع أن الحاجة الى شىء قليل ، إلى أمر واحد " ( لوقا ١٠ : ٤٢ ) . وأنداك تفتحت عيناي : فهمت أن ما كنت أظنه الدفاع عن الحقيقة كان كبرياء ليس إلا . فخرجت من المعبد هادناً ، سعيداً ومرمماً . وكان زملائي ينتظروننى ، وقد حضروا مظاهرة ليقاوموا النائب الأسقفى ، دفاعاً لحقى . ولكنى هدأتهم ... "

" ومنذ ذلك الوقت ، أحصل دائماً على أبرز نعم حياتى بمناسبة عيد القديسة مارثا أو فى الأيام التى تتبع هذا العيد . كنت قدمت للآب شينا زهيدا فأعاده الىّ مئة ضعفه . "

### أخطاء شهيبة

وبعد ثمانى سنوات فى الاكليريكية الصغرى والكبرى ، رُسم هيدر كمارة كاهناً يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٣١ ، فى عيد انتقال العذراء إلى السماء ، وكان عمره آنذاك اثنتين وعشرين سنة ونصف . واضطر لذلك أسقفه إلى أن يحصل على إذن خاص من روما ، نظراً إلى أن سن الرسامة الكهنوتية هى ٢٤ سنة . وعينه رئيس أساقفة بلدته فورتليزة مرشداً للشبان الجامعيين ولعمال المدينة . وكان فوق ذلك مسئولاً عن معبد . ومثل كل زملائه فى الكهنوت ، لم يكن هيدر مؤهلاً بالكفاية للعمل الرسولى . يقول : " كان رؤساؤنا يخصصوننا لخدمة الشعب . "

ولكنهم كانوا يحفظوننا طوال سنى التكوين منفصلين عن الشعب ، أى خلال ثمانى سنوات ، بل عشر أو اثنتى عشرة سنة . إلى جانب أنهم قد أنشأوا اكليريكية لفترة الإجازة الصيفيّة لنفس الغرض الذى هو " حمايتنا " من الاتصال بالشعب . وكان تكويننا يتّسم بسمة " معارضة الاصلاح " : فكنا مهتمّين بالدفاع عن أنفسنا خاصة : لأنّ كلّ هدف تكويننا الدينى كان الدفاع عن الديانة ضدّ كلّ أنواع الهرطقة القديمة والجديدة ، التى كُنّا ندرسها عن ظهر القلب . فعندما خرجت من الاكليريكية لم أكن حاصلًا إلا على فكر بسيط جدًا عن القضية الاجتماعية : كان العالم فى نظرى منقسمًا الى فريقين متعارضين : الشيوعية والرأسمالية . وكانت الشيوعية تعرض علينا كهيئة لا تريد إلا القضاء على الديانة وإلغاء الملكية الخاصة ، وتقدم إلينا الرأسمالية على أنها الهيئة التى تدافع عن النظام المسيحى . وكان هذا يُعدّنى للدخول فى معارك على الأقلّ مشكوك فيها .

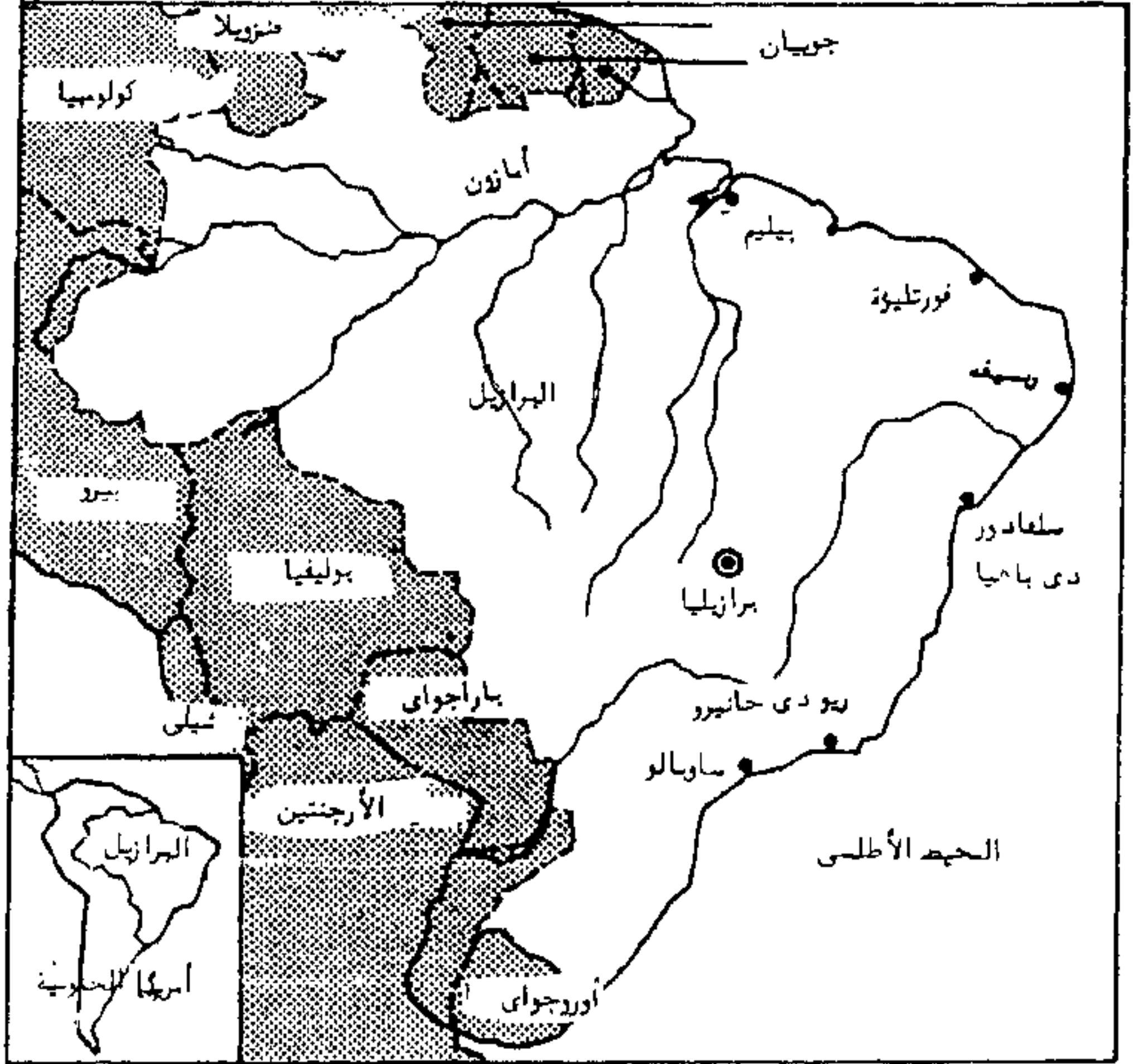
ويقول هلدرك كمارة : " فى سنة ١٩٣٣ ، عندما أنشئ " العمل الكمالى " *l'Action intégraliste* - وهو ترجمة برازيلية لفاشية موسولينى واليهتليرية وخاصة نقابية سالزار - وجدت نفسى بطريقة طبيعيّة أناصر هذه الفلسفة التى ، بادعائها أنها روحانية ، كانت تشنّ حربًا على الشيوعيّة . وحينما دعانى بلينيو سالجادو Plinio Salgado ، الرئيس البرازيلى " للعمل الكمالى " ، لأكون أمين سرّ عمله لقسم التربية فى " كيارا " الذى هو اقليمى ، لبّيت دعوته برضا كامل من طرف أسقفى ، الذى قال لى : " أنا على يقين أنّ كثيرين من الشبان والعمال سوف ينتمون الى حركة هذا " العمل " وستكون أنت إذن حاضرا لمساعدتهم . وفى الواقع ، كان الكثيرون منهم يأتون ، متعشّمين أن يسمعوا فى " الوعظ " الكمالى كلمة رجاء ومحبة هم متشوقّون اليها . كانوا يرتدون القميص الأخضر

ويؤدّون القسم للرئيس ويطلقون بشجاعة شعارهم : " الله والوطن والأسرة . "

فضلا عن ذلك ، كانت الكنيسة تهتم كثيرا بالانتخابات التي كان مزمعا أن تقام في سنة ١٩٣٤ . نظم رئيس أساقفة ريو دي جانيرو ، الكاردينال ليمه Leme لكلّ البلد الرابطة الانتخابية الكاثوليكية . وبالرغم من أنها لم تكن حزبا ، كانت هذه الرابطة تقدّم للمرشحين برنامجا كانوا مدعوين أن يتعهدوا به . وطلب منّي رئيس الأساقفة مانويل دا سيلفا جومث (١) الذي كنت من رعاياه ، أن أقوم باكبر نشاط ممكن في " الكيريا " لصالح المرشحين الذين قبلوا برنامج الرابطة . فاطعته . وانتخب جميع المرشحين الذين وقّعوا بالقبول ولم ينتخب غيرهم . وكانت الحكومة في غاية الامتنان . ولكن ، فيما بعد ، لما تدخلت الحكومة أكثر من اللازم في سياسة التربية التي كنت مسئولا عنها ، قدّمت استقالتي . فطلبوني حينذاك في ريو دي جانيرو في أمانة التربية لخدمة الدولة الاتحادية ( الجمهورية ) برمتها هذه المرّة . وهكذا وصلت إلى العاصمة في سنة ١٩٣٦ ، وكان عمري ٢٧ سنة . وسمح الله أن أمكث هناك ٢٨ سنة .

لم تعرف هذه الحقبة من حياة هلدري كمارة إلا معرفة تكاد لا تذكر في أوروبا .

ورغم نقص تكوينه للعمل الرسولي في الاكليريكية ، رآف الله بحالة هلدري وهذاه صراط عمل يشمل خدمة الآخرين اجتماعيا ودينيا ، ومهد له فرصة ذهبية لهذه الخدمة .



مساحة البرازيل ٨,٥١١,٩٦٥ كيلومترا مربعا : حوالي ثمانى مرآت ونصف  
مساحة مصر . كان تعداد سكان البرازيل في سنة ١٩٨٧ م ١٤٢ مليون نسمة .

- ولد بطل هذا الكتاب ، واسمه هلدنر كمارة ، في البرازيل .
- دعوني أكتفي هنا بوضع بعض معالم لتاريخ البرازيل .
- في عام ١٥٠٠ اكتشف البرازيل البرتغالي ألفاريس كابرول .
- في عام ١٦٩٦ اكتشف منجم ذهب في هذا البلد .
- في عام ١٨٠٨ طرد نابليون الوصي علي عرش البرتغال ، فاستوطن في البرازيل .
- في عام ١٨١٥ أصبح البرازيل مملكة .
- في عام ١٨٢٢ أعلن البرازيل عن استقلاله وأصبح بطرس الأول *Pierre 1er* إمبراطور البرازيل دستورياً .
- في عام ١٨٨٨ إلغاء الرق .
- في عام ١٨٨٩ إعلان النظام الجمهوري وإنشاء ولايات البرازيل المتحدة ( ٢٣ ولاية ) .
- من ١٩٣٠ الي ١٩٤٥ ، ثم من ١٩٥١ الي ١٩٥٤ ، رئاسة جيتوليو فارغاس .
- في عام ١٩٦٠ افتتاح برازيليا ، العاصمة الجديدة .
- في عام ١٩٦٤ انقلاب عسكري .
- في عام ١٩٨٤ الرجوع الي نظام حكم الشعب .
- في عام ١٩٨٨ إعلان دستور جديد للبلاد .

## الفصل الثانى

### عمل الآب / هلدن كمارة

### ثمانى وعشرين سنة فى ريو دى چانيرو

فى سنة ١٩٥٥ عقد مؤتمر دينى لمن يرغب فيه من جميع الدول فى ريو دى چانيرو ، عاصمة البرازيل . وشيدت الدولة البرازيلية ، لاستقبال آلاف المهجّاج المزمع حضورهم إلى البرازيل بمناسبة المؤتمر ، مساكن عديدة مؤقتة بعد ردم مساحة عظيمة من خليج ريو ، ونجحت العملية ومهدت للمؤتمر نجاحاً باهراً . ولكن ، بالقرب من المساكن الفخمة وناطحات السحاب التى يسكنها الأغنياء فى ريو ، كانت هناك آلاف من المساكن الشعبية التى يسكنها أفقر الفقراء اللاجئين من الأرياف ، لا يقلّ عددهم عن ستمائة ألف شخص فى حالة فقر وهؤس لا توصف .

وقد زارت هذه المساكن الفقيرة أثناء المؤتمر امرأة فرنسية تدعى رينيه ، آتية من ليون ( فرنسا ) وحررت ما لاحظته فى جريدة ظهرت فى ليون ، وترجم مقالها إلى لغات مختلفة ووصل إلى مختلف جهات العالم . فأحدث ضجة خزي وعار ازاء الأغنياء المقيمين فى ريو دى چانيرو بالقرب من المساكن . وكان هؤلاء البؤساء يبحثون عن قوتهم فى صفائح قمامة ( زبالة ) جيرانهم الأثرياء الذين يتجاهلونهم تماماً .

## مختارات من هذا المقال

إننا في معسكر أكواخ ، كل منها له قصة يؤس :

(١) هذا كوخ عالق بخيط : تعفنت الأوتاد التي تسنده إلى صخرة ، فأصبحت الأسرة التي تسكنه مهددة كل يوم بالكارثة .

(٢) بالقرب من هنا ، أمضت امرأة شابة كل ليلها تغير مكان سرير العائلة الوحيد حتى لا يبئل المطر طفلها الرضيع .

(٣) في ذلك الكوخ القدر للغاية الذي تبلغ مساحته بضعة أمتار مربعة لا غير ، ولدت منذ لحظات السيدة ميراندة طفلة على كوم من الخرق البالية القلرة هي كل سريرها . ولأنه لم يمكنها أن تنزل في الغد إلى ساحة السوق لتلتقط بعض الفواكه المصابة بالعطب ، والملقاء تحت الدكاكين ، اضطر باقي أولادها أن يصوموا طوال النهار .

والسيدة رينيه الفرنسية ، صاحبة هذا المقال ، اختارت كوخا من أكواخ هؤلاء اليوساء حتى تسكنه ، ورتبت فيه مركزا طبيًا بسيطًا جدًا لعلاج المرضى .

وفي بعض الأيام ، كان يبدأ طهور المرضى منذ الساعة صباحا في انتظار العلاج ، لأن معظم سكان الأكواخ مرضى بأمراض مزمنة : ٩٦٪ منهم مصابون بمرض يسببه الهوام ( الديدان ) ، وأكثرهم مصاب بالتهاب الأمعاء الغليظة أو



السل . وغيرهم مصابون بأمراض وبائية مثل الجدري والتيفود .

وأبعد من العلاج الجسدى ، أصبح المركز الطبى مكانا يأتى اليه كل شخص بمشاكلته ، وتمثل أحيانا هذه المشكلة حالة خاصة بنزاع يقتضى المحاكمة ، فتتحول منضدة المررض الى حاجز محكمة : فلا منر من المشاجرات بين جيران فى حالات الاختلاط التى يعيش فيها سكان الأكواخ ، ولكن عامة ما يقتضى الصبر على جميع الحالات : فكل ضيق جسدى أو روحى ، يفرض حلاً تقدمه المحبة . ونحن معشر الأغنياء ، لا نزال مضطربين ، ازاء عفوية الفقراء التى تهب ثقتها بطريقة تامة ، رغم حالات الهزس الهائلة ، إلى الاعتراف بأن خجلنا يعظم كل يوم لانتمائنا إلى عالم الأثرياء ، عالم الذين أكلوا دائما كفايتهم وناموا على سرير واستفادوا إلى حد كبير من القيم الثقافية والروحية . فتستعجلنا الساعة لاعادة مشاركة أكثر عدالة بين الأغنياء والفقراء .

**التغيير الجدى فى حياة هلدن كماره : تكريس كل حياته لخدمة الفقراء**

بمناسبة هذا المؤتمر كان رئيس أساقفة فرنسا قد حضر إلى ريو دى چانيرو ولاحظ التناقض المخجل بين فئتى شعب هذه العاصمة العظيمة ، وانتهاز فرصة المؤتمر حتى يطالب الأسقف هلدن كماره بترك كل مناصبه العالية لاعطاء كل اهتمامه للفقراء . سرعان ما قبل هذا الأخير بفرح شديد هذا الطلب وتنازل عن معظم أعماله الهامة حتى يكرس حياته لخدمة المساكين .

كان هدفه ألا يندد بالأغنياء ويؤنبهم ، بل أن يقوم بعمل واقعي ومسالمة .  
فبدأ بتصحيح فكرة البلد عن هؤلاء الفقراء ، الذين كانت الاذاعة المحلية تصفهم  
بالشر والكسل والفسق . ورفع رأسهم بقوله أنهم مسالمون ويعملون بجد ونشاط  
بالرغم من بؤسهم ، ثم طلب من كبار المسئولين الدينيين أن يستخدم الخشب الذي  
استعمل لبناء المساكن الشعبية المؤقتة للحجاج في خليج ريو ، ووزع هذا الخشب  
والمال اللازم على البؤساء ، الذين كان أغلبهم عمالاً ، حتى يبنوا لأنفسهم  
ولعائلاتهم مساكن لائقة ومتينة . ولما كان من المحال أن يبنوا في نفس الأمكنة  
التي كانت تأويهم حتى ذلك الحين ، عرض هلدركمارة على رئيس جمهورية  
البرازيل أن تردم مساحات مائتة أخرى من الخليج وتعطى للمساكين ليجنوا عليها  
مساكنهم الجديدة .

وبدأ البناء لصالح أفقر مجموعة من ساكني الأكواخ في صلب حي غني حتى  
تختلط الطبقات الاجتماعية ، فتقرب بين الأوساط المختلفة وتقلل من صراع  
الطبقات . - واحتراماً للفقراء كانوا يشيدون عمارات عديدة شملت سريعاً ٩١٠  
شقة ، وصمم هلدركمارة في أن يقوم البناء على أوتاد حتى يصلح المكان الفارغ  
تحت المنازل لاقامة ملاعب للشباب والأطفال ، نظراً لأن عدد سكان هذا المكان  
وصل الى أربعة آلاف نسمة ، لا يقل عدد القصر منهم عن ١٨٠٠ طفل وشاباً ،  
لم تبلغ سنهم الخامسة عشرة .

وأصبحت مساكن الفقراء هذه " مدينة " ، لها مدرستها وكنيستها وسوقها  
وأنديتها ومشاغل للحرفيين . - كان كل طابق من هذه المساكن يختار مندوباً  
لمجلس المستأجرين ، الذي يلعب دوراً بمجلس البلدية . وكانت راهبتان تضمنان

لهذه المدينة خدمة طيبة واجتماعية . - وبعد ٢٤ سنة ، وجد هلدنر كمارة فى ذلك المكان عمارات عادية تحظى بالايجار المألوف . ماذا حصل فى هذه الحقبة الطويلة من الزمن ؟

كنّا ترقّعنا أنّه حالما وجدت أسرة فقيرة مسكنا آخر ، لا بدّ لنا أن يُهدم كوخها لنتجنّب أن تأتى أسرة غيرها تحمل محلّها فى نفس الكوخ ، فنكون قد ساعدنا على زيادة عدد الفقراء فى الأكواخ القديمة . وفى الواقع هذا ما كان يحدث بالفعل : عند خروج أسرة فقيرة من كوخ كانت تحضر أسرة فقيرة أخرى من الأرياف محلّ محلّها ، بحكم أنّ الأسر الفقيرة يزيد عددها بدلا من أن ينقص . ومن وجهة النظر هذه فقد فشلنا .

ولكنّنا استدركنا الحالة وحصلنا فى عملنا على نتيجة طيبة . فقد تيقظت مدينة ريو لأسر الفقراء عامة وشرع المسئولون يهتمون بها ويعتبرون أنّ هذا من واجبهم . واختار حاكم المدينة طريقة مختلفة عن طريقتنا : فبدلا من أن يأوى الأسر الفقيرة بالقرب من المدينة أو داخلها ، شيد مساكن بعيداً عنها فى المناطق غير الحضرية بعد حيث لا يضرّ أحداً وجود الفقراء ، خاصة أنّ مساكن الأحياء الفنية كانت تشكو من التلوّث السكنى . ولم يمسّ هذا الحلّ أى فقير باذى .

## بنك العناية الالهية

أسس هلدركمارة عملاً آخر شعبياً قماماً ، هو بنك العناية الالهية . لا يقرض هذا البنك لاصحاب المال ولكن للذين فى وسط اجتماعى متواضع أو فى ضيق مالى . إلى جانب أنه يساند كل أنواع الخدمات : الطبية والسكنية والترهوية وخدمة المواصلات والارشاد المهنى والاسعاف القانونى والبطالة ( أوجد هذا البنك ١٥٠٠ عمل لأرباب العائلات فى سنة ١٩٦٣ ) . إن بنك العناية الالهية قائم على الهبات ليس إلا . له حساب فى جميع البنوك الكبيرة ، التى يتترك كثير من عملائها الأرباح لحسابه . ويحظى هذا البنك الخاص كل سنة بسوق خيرية يتهافت عليها كل أغنياء ريو .

كتب شاهد : " حضرت إحدى الأسواق الخيرية التى نظمها هلدركمارة فى سبتمبر ١٩٦٣ على أرض نادى بوخت على شاطئ البحر . نجحت نجاحاً باهراً ، إذ استقبلت السوق مائة ألف زائر . وكان فيها ، لمدة يومين ، ازدهام طريف أمام معروضات أقاليم البرازيل الأربعة عشرة ، إلى جانب واحد وعشرين صنفاً للأمم أخرى عرضت منتجات محللتها التجارية . وأعلى من صيحات السوق الخيرية ، كانت مكبرات الصوت تشيد بيانصيب عظيم يلمح بكسب سيارة فخمة أو حصان جميل . "

وفجأة تسلط صوت على الضجة العامة قائلاً : " ان منات من الأشخاص ينتظرون خارجاً لأنه من الصعب أن يدخلوا ساحة السوق نظراً للازدحام . فىا ليت بادرة لطيفة تحضر فى ذهن الذين فى الداخل وتحثهم على الخروج لاعطاء معلمهم

لآخرين . - من كان يتوقع الطاعة من الجمهور البرازيلي مفرط الخيرية ؟ ولكن حصلت المعجزة : فقد خرج عديد من الزوار سريعا ودخل غيرهم بدون ازدحام . - ومن كان صاحب هذه النصيحة الخلافة ؟ إنه اعظم رجل يرضى عنه الشعب فى ريو : هلدر كمارة . "

وفى صباح اليوم التالى كان الأسقف تعباً ولكنه سعيد .. ويقول : " كانت السوق الخيرية كما كنت أحلم وأتمنى : حفلة مسكونية حيث تقابل أخوياً جميع طبقات المجتمع ، كل الأنسال وكل الطوائف الدينية والأديان . وكنت اخترت عمدا لتلك السوق الخيرية نادياً بخيلاً فى استقباله ، ولكنه فى ذلك اليوم ، فتح أبوابه على مصراعيها ، وأتى الشعب ، الشعب الحقيقى ، بما فيه طبقات الفقراء .

ومن كان فى استقبال هذا الشعب ؟ سفيرات : سفيرة سويسرا ، وهى بروتستانتية ، وسفيرة اليابان وهى بوذية ، وسفيرة اسرائيل ، وهى يهودية ... حتى الأحزاب السياسية قد مارست فى هذه المناسبة هدنة الله التى كنت أطالب بها : فتقابل هنا الأذخصوم . وأظهرت هذه الأيام جلياً أن البرازيل متعطش إلى سلام ومحبة .

وتابع الأسقف هلدر كمارة قائلاً : إنى لا أنخدع ، لأن أعمالى ، مهما كانت ضرورية ، ليست إلا علاجاً مؤقتاً . فالسبب الحقيقى لوجود ظاهرة الفقر هذه ليس هنا فى المدينة ولكن فى البيئة الريفية ، حيث البؤس يدفع الفلاحين نحو المدن الكبيرة . - إنكم تدركون فى ريو أو ساو باولو أنكم فى صلب القرن العشرين ،

ولكن الأرياف قد ظلت في عصر المستعمرين البرتغاليين . ولذا ، فليس للعمال الريفيين منازل بمعنى الكلمة ، إنهم يقتاتون ويكتسبون من لا شيء ، وتنقصهم التربية الأوكية ويطلب منهم أن يعملوا بدون عقد عمل . وعليه فمستوى حياتهم أخط من المستوى البشرى . أنا على يقين أن البلد في حاجة ماسة إلى اصلاحات اجتماعية " .

### هدر كمارة في خدمة العاملين

لم يمنع عمل هدر كمارة لخدمة البؤساء من أن يتعاطى لارشاد العاملين ، سواء يدوياً أو في الوظائف المختلفة . وهذا الارشاد هو ميدان النشاط الكاثوليكي الذي كان الأسقف أمينه العام في البرازيل . - في سنة ١٩٤٨ اهتم هدر بفرس حركة الشبيبة العاملة في ريو ، وفي نوفمبر ١٩٦١ ، أي بعد ثلاث عشرة سنة ، كانت الحركة قد نمت بالكفاية حتى أمكنها أن تقيم مجلسها العالمي في ريو ، الذي اشترك فيه مائتا ألف شاب وشابة من العمال ، ملأوا ملعب ريو ، أوسع ساحة في العالم في ذلك الحين ، واهتفوا لمؤسسهم الأب / كاردين ، الذي كان ، في الثمانين من عمره ، لم يزل مفعما بكل نشاط لينادي قائلاً : " نود أن يدرك جميع الشباب العاملين في العالم كرامة كونهم أبناء الله ... فليس رجاؤنا وهما ، لأن محبة الله في قلوبنا ، والمسيح يريد بوساطتنا أن يخلص شبيبة العالم العاملة في كل الشعوب والقارات . هيا ، إلى الأمام ! ...

وفي صف البالغين ، شق النشاط الكاثوليكي لفئة العمال طريقه أيضا : فقد

أقام المناضلون العماليون جمعيات أحياء وتعاونيات و فرق تربية شعبية ، والتحقوا بالثقافات . وفي نفس الوقت ، اكتشفوا ضرورة حياة مسيحية أصيلة . إلى جانب أن الطلاب الجامعيين ، الذين كان أغلبهم ينتمى إلى عائلات ميسورة ، صحوا من غفلتهم . ففي جامعة ريو الكاثوليكية نظم مجلس إدارة الطلاب أسبوعا اجتماعيا - ظاهرة جديدة في ذلك الحين - وأذاع منشورا يطالب بعالم متضامن : " لا رأسمالية ولا ماركسية ، ولكن التضامنية " . أجل ، إن خمير الالهييل قد اختمر في زمن هلدر كمارة .





## الفصل الثالث

### في خلفية المجمع القاتيكاني الثاني

#### رجوع هلدر كمارا إلى اهتمامه بأبنائه الفقراء

انتهز الأسقف هلدر كمارا وجوده في روما أثناء المجمع المسكوني القاتيكاني الثاني ، بين ١٩٦٢ و ١٩٦٥ ، حتى يصبح لولب مبادرة أخرى ، هي فرقة " كنيسة الفقراء " . كانت هذه الفرقة مكونة من نحو خمسين أسقفا من قارات العالم الخمس ، تجتمع في المعهد البلجيكي تحت رئاسة الكاردينال جولييه . وكانت مواضيع حوارها العلاقة بين المسيح والفقراء وضرورة أن تكون الكنيسة مطابقة للمسيح الفقير . كان هدف الأساقفة أن يبحثوا عن طريقة إنقاذ الكنيسة من تواطؤها مع العالم الدنيوي ، وعن الطريقة التي يضمنون بها تواجد الكنيسة في عالم العمل ... وتميزت لقاءات الأساقفة بالبساطة والجرأة الاخائي وتقاسم الخبرات . وشهد بنرح أساقفة دول أوربا الشرقية لصالح فقر البيئات التي ينتمون إليها وتعيش فيه كنائسهم . وأغلب الأساقفة الفقراء كانوا بالطبع من أمريكا الجنوبية .

اقترح الأسقف هلدر كمارا أن يُدعى الفقراء إلى أحد اجتماعات المجمع المسكوني المنعقد في روما وأن يشغلوا في الاجتماع أمكنة الشرف . وكان هذا

الاقتراح يرمز إلى ما حدث في سنة ٢٥٨ في عهد الامبراطور فالريان ، الذي قدم إليه شماس يدعى لوران ١٥٠٠ فقير ، كانت كنيسة روما تغذيهم قائلا : " ها هي كنوز الكنيسة التي طلبتها أيها الامبراطور " ١

تذكر هلدر كمارة محادثات مدينة مالين ( بلجيكا ) التي سجلت في سنة ١٩٢٠ بداية النزعة إلى توحيد الكنائس وكان يقول للكاردينال سوينانس : " إن سلفك الكاردينال مرسييه عقد الحوار مع اخواننا المنفصلين . فيا ليتنا اليوم نفتح حوارا آخر يكون حوار العالم المتقدم مع العالم النامي لماذا لا نتصور ، حول البها في اورشليم أو بمباي ، اجتماع أساقفة وخبراء من كافة العالم يبحثون في مشاكل البؤس ويعلنون رسمياً عقيدة الكنيسة الاجتماعية ، ويكون اجتماعهم نوعا من باندونج مسيحي ؟

في الواقع فرح هلدر كمارة برؤية البها بولس السادس يزور البلدين اللذين أشار هو اليهما : في اورشليم ، يوم ٥ يناير سنة ١٩٦٤ تعانق البها والبطريرك أثناجوراس وكانت هذه المعانقة رمز السلام بين روما وبيزنطة . ثم يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٤ في بمباي ، في الهند ، حيث جهر البها بدعوة رسمية قائلا : يا ليت كل الدول تعرض عن سباق التسلح ، ويا ليت كل دولة تكرس ولو قسما من نفقاتها الحربية ليصبح رأس مال عالمياً لمساعدة أخوية تقدم للبلاد النامية . في يوم ٦ يناير ١٩٦٧ ، أي بعد ثلاث سنوات ، رتب البها بولس السادس اللجنة الباهوية " للعدل والسلام " التي كانت ثمرة تأمل فرقة " كنيسة الفقراء " التي ترجع مبادرتها إلى الأسقف هلدر كمارة .

## من أجل خطرات الى الأمام بخطرهما المجمع

بعد محادثاته إلى إخوانه الأساقفة ، توجه هلدركمارة باقتراح إلى أجهزة الاعلام التي كانت تتشرف بمخاطبته أياها . بعد جلسة المجمع الثانية ، واستجابة لطلب الجريدة الأسبوعية " الشهادة المسيحية " ، قدم الأسقف ، يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٦٤ ، بعض اقتراحات قد تؤدي إلى تحسين أعمال المجمع . وكان ، بمناسبة كل موضوع ، يعترف أولا بعمل أيجاهي قد حصل - وهذا يشجع ويفرح - قبل أن يتمنى إتمام خطوة إلى الأمام . فقد أشاد بشجاعة البابا يوحنا الثالث والعشرين الذي عين بعض اللاهوتيين كخبراء وانتزعت أسماءهم من قائمة الشبهة السوداء ، وأكد البابا بولس السادس ترشيحهم ، وذلك قرب افتتاح المجمع المسكوني الثاني . ولكن عدد الخبراء العلمانيين بدأ لهلدركمارة ضئيلا جدا ، خاصة بالنسبة للمشروع الثالث عشر الذي سوف يصبح وثيقة " الكنيسة في العالم المعاصر " . ومن جهة أخرى ، طلب هلدركمارة أن يوجد الى جانب لاهوتيين العالم المتقدم مكان للاهوتيين العالم النامي .

وكم كان فرح الأسقف لرؤية أنجليكانيين وبيوتستانت في حرم القديس بطرس ، في روما ، قد سُمح لهم بحضور كل جلسات المجمع الكاملة كمراقبين . ولكنه يتساءل لماذا لا ندعو يوما ما إلى جلساتنا المسيحية المسلمين واليهود والبوذيين ؟ سوف تكون هذه خطوة إلى الأمام : أن يمكنهم لمجرد " مستمعين " ، أن يعبروا عن أفكارهم في جلساتنا الكاملة " " ولكن يحسن أيضا الآن أن نكثر من عدد العلمانيين حتى يكبر تمثيل المهن المختلفة وأوساط الحياة وأقاليم العالم أجمع . ولماذا نستمع اليهم في جلساتنا الكاملة فحسب ، وليس أيضا في اللجان التي هي

مختبرات المجمع الحقيقية ؟ قلت : " نستمع اليهم " لأنهم خبراء ولهم بالطبع أفكار يدلون بها الينا . وفى هذه الحال ، لماذا نشير اليهم بلفظ سلبى ، وهو لفظ " المستمعين " ؟

بالنسبة للصحفيين ، هنا الأسقف هلدر البابا بولس السادس ( وهو ابن صحفى ) الذى ألغى هيئة الأمانة الصحفية التى كانت تعمل أثناء جلسة المجمع الأولى . لم يكن سنداً لأرائها ، بل كانت تقدم مذكرات تافهة أو أخباراً تشمل بعض أكاذيب تقية . أما الآن ، بعد إلغاء هذه الهيئة ، أصبحت محاضر المسئولين تدلى بما يحدث بالضبط . - هنا أيضا تمنى هلدر كمارة أن يحصل الصحفيون على نص المشروع نفسه بلغة حية وليس باللاتينية ، وأن يمكنهم أن يحضروا اللجان المجمعية و - يا للجرأة الهائلة - لماذا لا يعتمد وجود بعضهم فى الجلسات الكاملة ؟ ولكن ، لعل هذا الطلب الأخير سابق لأوانه !

أثناء جلسة المجمع الثالثة ، وخلال اجتماع صحفى ، ألح الأسقف هلدر كمارة فى فرائد اصلاح طقوس الصلاة : كان طقس الصلاة مرتبطا باللغة اللاتينية إلى حد أن الشعب فى أفريقيا وآسيا وحتى فى أمريكا الجنوبية ، كان يتخيل أنه على صلة بكنيسة أوروبية ، رومانية . وقد أحدثت امكانية الاحتفال الطقسى لكل بلد بلغته تجديدا فى الرعايا ، ونخص بالذات إقامة القداس . وأمكن الشعب ، حتى فى أبسط الأوساط ، أن يفهم معنى الذبيحة الالهية فى أكثر عمقها . كنا نسمع غالبا الشعب يقول لنا : " لماذا انتظرتم كل ذلك الوقت لاعطائنا هذه الفرحة ؟ وكان يذكر هكذا بالمشروع الثالث عشر الذى كان قيد التحضير . - كان علينا أن نبدأ بتحليل " علامات الأزمنة " الأمر الذى كان يقدم لنا الفرصة لاطهار اهتمامنا ،

بعيدا عن كلِّ همِّ تيشيرى ، بمشاكل البشر والعالم .

وكان الأب كوليجار يقول : " العالم رعيتى " وقد تبنى هلدر كمارة هذا الرأى الذى عزّزه المجمع . - فى المعهد البرازيلى ، وبالضبط فى الغرفة البسيطة التى كان يقيم فيها الأسقف هلدر كمارة ، كان شىء يلفت نظر الزائر ، وهو كرة أرضية . وقد أوحى كوكبتنا هذا للأسقف هذه الأسطر :

" إنَّ عينيّ تتنزه فى البحار السبعة

أفحص القارات

أنحنى على كلِّ شعب

أنهم جميع اللغات

أحيط بنظرة محبة جميع الذرّيات البشرية

وأجعل رسائل الله تشعّ على أبعاد الشعوب

وإذا كان هذا الكوكب الصناعى يوحى إلىّ بأشياء كثيرة

فكم يكون بالأحرى ابهاء الأرض الحقيقية

بين يديّ التى هى أمّ البشر ،

معزّية الحزانى

وملجأ الخاطئين ! "

ذكرت الأب كوليجار من لحظات . وسوف يعطى هذا اللاهوتى الشهير حكمه عن هلدر كمارة عندما يسأل عن كتابه الذى يعتبر حديثا صحفيا وعنوانه : " حياة لخدمة الحقيقة " فيقول كوليجار: أثر فى دائما هلدر كمارة بنوعية حياته المطابقة

للانجيل ، إنه لا يملك شيئاً ، فيحيا بلا شيء . أخذت وجبة طعام معه ولاحظت أن أكله أقل من أكل عصفور . وهو رجل تسكنه نار داخلية . ليس هو بعد ملك نفسه ، فهو لم يزل يضحى بحياته لخدمة الآخرين . هلدر كمارة ، مثل الأسقف فراجوزو ، الذى لا أعرفه إلا من خلال كتبه ، هما رجلا الله : قد ناصرا دعوى الثورة غير العنيفة " . ويقول الأب كولوجار إثر هذا الحكم : " لاحظت عند هلدر كمارة ، الذى امتلأ نضجا منذ زمن المجمع ، عنصرا تمثيليا ، لأن اقتراحاته كانت أحيانا خيالية بعض الشيء : فقد حدثنى ذات يوم عن رغبته فى أن يرى المجمع ينتهى على ساحة القديس بطرس بسهرة عظيمة ، قد يتدخل فيها هندوسى ويهودى ومسلم وپروتستانتى وأورثوذكسى ... وقداسة البابا ... وتكون نوعا من احتفال طقسى عالمى عظيم " .

**اختتام المجمع المسكونى : هلدر كمارة مسالم نحو المجمع ولى كل ميدان**

بالفعل ، كان هلدر كمارة يتخيل ، فى منشور عنوانه " تبادل آراء مع الاخوة الأساقفة " ، أن رؤساء الأسر الدينية الكبيرة قد تجتمع فى ساحة القديس بطرس وتصلى من أجل السلام . ولكن الأزمنة لم تكن ناضجة بعد . ومع ذلك ، ألم يكن حلم الأسقف شبه إعلان مسبق لقمة أسيزى التى جمعت يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٨٦ ممثلى الأديان الكبيرة ؟

وبالنسبة لحركة الكنيسة الكاثوليكية ضد الإصلاح ، التى كانت قائمة فى

الكنيسة بعد المجمع التريدانتى ، صاح هلدركمارة قائلا : " كفتنا أربعة أجيال " المعارضة " ضدّ الاصلاح فى تحديداتنا ، التى كانت لها الأثر السلبى والمحزن فى تخفيف اللاهوت الغربى ؛ إننا نريد لاهوتا يتغذى بالكتاب المقدس ويشرب من الماء العميق النابع من دراسة آباء الكنيسة ، ويكون أمينا بحدّة ادراك لتوجيهات سلطة الكنيسة الحيّة ، ومتصلا اتصالا حميما بطقس الصلاة وراسخا بصلابة وواقعيّة ... فقد ضرّ كنيسة المسيح العمسك الضيق بالقواعد الأخلاقيّة والقانونيّة ، أو بمجرد الحلال والحرام البعيد عن الحياة المسيحيّة الايجابية وعن العدل والمحيّة والسلام ... وكانت نتيجة هذا ابتعاد عدد كبير من الناس عن الديانة ولامبالاة عدد أكبر من الأشخاص وقلّة اكتراث الذين كان مزمعا أن ينظروا إلى الكنيسة بعطف . "

ثم ذكر هلدركمارة اصلاح قانون الشرع الكنسى قائلا : " لا شك فى أن القانون الإلهى مقدس وغير قابل للتعديل ، ولكن الحقّ الكنسى القائم فى أيامنا يرتكز أساسا على الشرع الرومانى ، الذى هو تحفة ، ولكنه مع ذلك تحفة قانون وثنى " .

لم يحظ المجمع القاتيكانى الثانى على احتفال ختامى جمع بين سائر الطوائف المسيحيّة كما تخيلّه هلدركمارة ، إلا أنه أثناء احتضار البابا يوحنا الثالث والعشرين قد رأى الأسقف هلدركمارة الكاثوليك والبروتستانت واليهود والبوذيين والمسلمين قد استولت عليهم نفس العاطفة الطيبة واتحدوا فى صلواتهم . وكاد بعض الأساقفة الموجودين آنذاك أن يعلنوا قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين قبل دفنه .

ندكر أن يوحنا الثالث والعشرين هو البابا المسالم الذي دعا الكنيسة لعقد مجمع مسكونى يكون فرصة لاعتراق الكنيسة بأغلاطها ثم فرصة لمحاولة إصلاح هذه الأغلاط ، وطلب الغفران لمن أساءت الكنيسة إليهم ، وذلك لتمهيد الكنيسة للافتتاح للعالم المعاصر الذى كانت تهمله . وفى ذلك الميدان ، نلاحظ قرابة واضحة بين البابا يوحنا الثالث والعشرين وأسقف الفقراء ، هلدر كماره ، تشمل طيبة قلب البسطاء وروح الطفولة وهبة العطف ودمائة المخلق ، إلى حد أن بعض الناس كانوا يسمون الأسقف هلدر كماره " يوحنا الثالث والعشرين لشمال شرق البرازيل " . وفى الواقع ، فى أواخر سنة ١٩٦٥ ، أى فى نهاية المجمع القاتيكانى الثانى ، كان هلدر كماره رئيس أساقفة " ريسيف " أى شمال شرق البرازيل ، منذ سنتين ونصف .



## الفصل الرابع

### رئيس أساقفة ريسيف

كانت مدينة ريسيف / Recife تلقب في الماضي " بالبندقية البرازيلية " ، لأن الأنهار الصغيرة والمستنقعات تتقاطعها . وعندما أسسها الهولنديون ، سكنها منذ تأسيسها التجار البرتغاليون . والآن تتعارض منازلها الصغيرة ، التي تركها الاستعمار القديم ، مع البنوك القائمة في ناطحات السحاب والساحات العصرية الكبيرة .

أصبحت اليوم ريسيف رابع مدينة من مدن البرازيل ، وبين سكانها الذين لا يتجاوزون المليونين ، كثيرون يزدحمون في الأكوخ التي تنمو كأكوام قمامة على حافة المستنقعات . - كتب أحد سكانها منذ أربعين سنة كتابا عنوانه " جغرافية الجوع " ، نبه فيه الرأي العام إلى جوع شعوب العالم الثالث .

ومدينة ريسيف عاصمة إقليم شمال شرق البرازيل الذي تساوى مساحته ثلاث مرات مساحة فرنسا وعدد سكانه ثلاثون مليونا . هو أول قسم من البرازيل الذي جلب إليه السكان ، وأصبح مركز الثروة الاستعمارية والحياة الثقافية والسياسية . ولكنه اليوم ، فرسة الجفاف والجوع والامية ، مثل أكبر مناطق الأرض النامية .

## تنصيب هلدركمارة رئيس أساقفة ريسيف

ولد هلدركمارة ، أسقف الفقراء ، في هذا الاقليم ، وأرجعه إلى نفس الاقليم تعيينه كرئيس أساقفة أولندا / Olinda وريسيف في مارس سنة ١٩٦٤ . كانت أولندا المرفأ البرتغالى القديم ومقر أقدم أبرشيّة ( مركز الأسقف ) في البرازيل ، أسس في سنة ١٦٧٦ ، وألحقت به روما ، في سنة ١٩١٨ ، اسم ريسيف ، وهو اسم العاصمة المجاورة له التى أصبحت مقرّ رئيس الأساقفة .

عندما نزل هلدركمارة من طائرته في مطار ريسيف يوم ١٢ أبريل ، رحّب به الشعب كمرسل من الله ، ورافقته سلطات المدينة الى ساحة " الاستقلال " حيث سلّم إليه المحافظ مفاتيح المدينة . وقال رئيس الأساقفة الجديد عندئذ : " يا ليتنى أفتح جميع القلوب ! "

وفي الغد ، يوم أحد الراعى الصالح ، نصّب رئيس الأساقفة الجديد رسميا في كاتدرائيّة أولندا ، أقدم كنيسة من كنائس البرازيل . وكان ينصت إلى خطبته ، التى أدلت ببرنامج عمله المستقبل ، ثلاثون أسقفا وسلطات المدينة والشعب ، قال فيها :

" من أنا ؟ - أحد سكان شمال شرق الاقليم ، يتوجّه إلى مواطنيه ، محقق النظر في البرازيل ، فى أمريكا الجنوبيّة وفى العالم . أنا مخلوق بشرى يعتبر نفسه ، فى ضعفه وخطاياہ ، أبا لجميع البشر ، مسيحى يخاطب المسيحيين ، وقلبه مفتوح إلى البشر من كلّ العقائد " . - اسمعوا تحيى الأخرىة ، أنتم

الكاثوليك وغير الكاثوليك ، أنتم المؤمنون وغير المؤمنين . بصفتي أسقفا ، إنى أت ، اقتداء بيسوع المسيح ، ليس لأنتظر خدمة الآخرين ، بل لأخدم . "

" أرجو ألا أثير استنكار أحد لأنه يرانى أعاشر أشخاصا يعتبرهم الناس عادة غير أهل للاعتبار أو مخطئين . فمن ليس خاطئا ؟ وأرجو ألا يندهش أحد لأنه يرانى فى صحبة أناس يُعتبرون مشيرين للشبهة أو خطرين ، من اليسار أو اليمين ، أنصار الحكم القائم أو المعارضين له ، الذين ضدّ الثورة أو الثوار : إنّ بابى وقلبى مفتوحان للجميع ، أجل للجميع على الاطلاق . "

ولكنّ الأسقف هلدر تابع قائلا " لاهدّ ، على مثال المسيح ، من أن تكون لى محبة خاصة للفقراء . فالبؤس يثير الاشمئزاز ويحطّ من شأن المرء ، وبشره صورة الله التى فى كلّ إنسان ... سوف أغشكم إذا قلت لكم إنّه يكفى ، لقهر البؤس ، قليل من السخاء ومن المساعدة الاجتماعية . أجل ، يجب أن نهب فى الحال لنجدة أولئك البائسين بؤسا صارخا ، ولكن ، حتّى نصل إلى جذور الداء ، لاهدّ من كسر الحلقة المفرغة الكامنة فى عدم التنمية والبؤس اللذين يولد كلّ منهما الآخر . لا يمكننا أن نعرض عن بعض أعلام بحجة أن بعض من حملوا هذه الأعلام قبلنا انخدعوا . ليكن لنا هدوء الروح والشجاعة لننقل من الضياع أفكارا صائبة تجسّدت فى عبارات امتنع الناس عن التفكير فيها فى الوقت الحاضر مثل الثقافة الشعبية ووعى الضمير ورفع المستوى الذاتى ...

وكان بشير هلدر كمارة بهذا الكلام إلى الانقلاب العسكرى الذى حدث فى أوّل أبريل سنة ١٩٦٤ ، حيث ، عزل الرئيس جولار ، وسجن الحكم الجديد بعض قادة

العمل الكاثوليكي بحجة أنهم يتكلمون لغة تشبه لغة الشيوعيين . - ألم يعامل الأسقف هلدر كمارة غالبا كأنه شيوعي ؟ -

وعليه ، أعلن الأسقف قائلا : " يا ليتنا لا نتهم بالماركسيّة المتعطّشين إلى العدالة ، أؤكد أنّ في إقليم شمال شرق البرازيل المسيح يدعى خوسيه ، أنطونيو ، سيثرينو ... ها هو ذا الرجل ، هو الرجل الذي يحتاج إلى عدالة ... يا ليت الاصلاحات التي نأملها تأتي بدون تأخير ، ولكن بدون ضرورة اللجوء إلى القوة ، وخاصة بدون حقد ، لأنّ أعظم خطيئة هي غياب المحبة ، فالله محبة . "

رُتبت كلّ خدمات الأبرشيّة في مقرّ رئيس الأساقفة : أي الادارة والرعايات وتعليم الدين المسيحي وكلّ أعمال التضامن في جميع المجالات ، بما في ذلك بنك العناية الالهية ، الذي أسس على غرار البنك الموجود في ريو . جعل الأسقف هلدر كمارة من مقرّه بيتا مفتوحا ، يُعتبر بيت الشعب . يستقبل فيه خلال النصف الثاني من النهار جميع من لهم طلب يقدمونه للأسقف . شاع مثل برازيلي يقول : " إن كنت مشغول البال ، اذهب لمقابلة الأسقف " . وهذا المثل لا يكذب أبداً . ففي الواقع ، يستقبل هلدر كمارة الجميع بنفس الابهتامة ، بنفس ثبات المزاج : كادحى الأكواخ مثل أرباب المصانع المنتمين إلى المجتمع الراقى ، " لأنّ الأغنياء لهم أيضا نفس " يقول الأسقف .

بتحدّث هلدر كمارة كلّ صباح أمام جهاز إذاعة دار رئيس الأساقفة الملحق بإذاعة أولندا . انطلاقا من حدث حصل في اليوم أو رسالة تسلّمها أو من قصيدة منظومة ، ينقل الرسالة الانجيليّة في الاذاعة التي عنوانها : " نحن كلنا إخوة " ،

التي تصل على السواء إلى البسطاء وإلى الشخصيات الكبيرة . قال الرئيس كاستيلو برانكو : إنى أتابع دائما بأمانة برامج الأسقف الاذاعية ، وأتذكر هذه الجملة التي قالها يوماً : " حيث يوجد الإنسان لابد من أن تكون الكنيسة .

تؤيد هذه الاذاعة حركة شعبية أسسها الأسقف عنوانها : " تقابل إخوة " . يجتمع رجال ونساء فى بيت حول جهاز إذاعة ليسمعوا كلمة الله : بعد قراءة الانجيل ، يدعوا الأسقف مستمعيه أن يظفوا مجتمعين : فيعرض عليهم نصاً وسؤالين : سؤالاً عن النص ذاته حتى يفهموه بتمعن ، وسؤالاً حتى يربطوا بين الانجيل وحياتهم ، حياتهم اليومية ، مع آلامها ومظالمها وشروط العمل فيها . وهكذا نشأت جماعات القاعدة الشعبية الكنسية التي تعد في نظر الأسقف رجاء الكنيسة ومستقبلها ، والتي أوصت بها هيئة أساقفة أمريكا اللاتينية فى اجتماعات " مدلين " فى " كولومبيا " سنة ١٩٦٨ واجتماعات مدينة بونيبلا Puebla فى المكسيك ، سنة ١٩٧٨ .

### جماعات القاعدة الشعبية

بفرح راعى كل كنيسة فى شمال شرق البرازيل لأن يوم الأحد تقام بين خمسة وسبعة قداسات فى كنيسته ، وتكون ساحة الكنيسة مليئة بالمؤمنين فى كل قداس . ولكن الذين يحضرون القداسات ، خاصة فى المدن الكبيرة - وحتى فى روما - لا يمثلون الأ نسبة مثوية بسيطة من السكان . أين الآخرون ؟ جميع الذين لا يترددون على الكنائس ؟ إنهم يعيشون فى الأحياء ، فى جماعاتهم الطبيعية .

ولذا ، بدأنا نتقرب من هذه الجماعات . يذهب كهنة وراهبات - وبين الكهنة يوجد فرنسيون وبلجيكيون وألمانيون - وعلمانيون بالأخص ليعيشوا مع هذه الجماعات ، يشاركونها في نفس الأكواخ ، في القلق وعدم الطمأنينة ، وفي نفس التهديد بالطرد من الأكواخ . ونحن نتوجه إلى هؤلاء الرجال والنساء الذين يريدون معاً أن يبلغوا إلى حياة أكثر إنسانية ونقول لهم : " لسنا هنا للتفكير بدلاً منكم ، بل للاستماع إليكم والبحث معكم ... ليس اليأس محتوماً ، لا بد من الكفاح للخروج منه ، فلا أحد وُلد ليكون عبداً . "

ليس الذين يعيشون في حالات منحطة وبائسة هم أخطأً مقاما من سائر البشر . فلهم رأس ليفكروا ، وهم ليتكلموا وقلوب ليحبوا . وفي هذه الجماعات ، عندما يُقرأ الكتاب المقدس ، وتأمل فيه ، قد تأتي غالبا جدا الكلمة الواضحة والمعاشة والمطابقة للإنجيل أكثر من غيرها على فم أفقر الناس ، الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، إنى أتذكر دائما كلمة يسوع القائلة : " أحمداك يا أبت ، رب السموات والأرض ، قد حجبت هذا عن الحكماء والأذكياء ، وكشفته للأطفال . "

إن هؤلاء الفقراء يعبرون عن إدراك كرامتهم وحقوقهم بأغانٍ مثل : " لا يريد الله ذلك " كلاً لا يريد الله عالما ينقسم بين الذين يسيطرون والذين يُحنون ظهرهم خضوعاً ، بين القصور والأكواخ . شيئاً فشيئاً ، يأخذ الفقراء حياتهم على عاتقهم حتى يجعلوها أكثر إنسانية وأكثر جدارة بأن تصبح حياة أبناء الله . "

## الادارة المسئولة عن تنمية شمال شرق البرازيل - وحركة تربية القاعدة الشعبية

إن طريقة تحسين مصير السكان هي تنمية إقليم شمال شرق البرازيل الاقتصادية وتربية قاعدته الشعبية . ولكن اتجاهات الحكومة المحلية لا ترمى إلى هذا الهدف .

كان الأساقفة غير مقتنعين بأن مصدر بؤس إقليم شمال شرق البرازيل ليس الجفاف فحسب ، فدعوا في شهر مايو سنة ١٩٥٩ للاجتماع ومعهم بعض فنيين من المؤسسات الرسمية الذين يعملون في المنطقة بنظام مشئت . واشترك الرئيس كويتشيك نفسه في هذا الاجتماع الذي برزت منه الادارة المسئولة عن تنمية شمال شرق البرازيل . وتحت نظارة شاب جدير ، عالم اقتصادي ، يدعى شليسو فورتادو ، شرعت الادارة في عملها : زودت البلاد بالطرق والماء والكهرباء ، وشجعت التصنيع وعصرت الزراعة . - وفي الميدان الاجتماعي ، حاولت أن تقنع أصحاب المزارع بدفع الأجر الكافي للعاملين ، ولو الحد الأدنى منه ، واعطاء قسم من أملاكهم الواسعة لفلاحين لا أرض لهم . - وانتظمت جمعيات أسر وجمعيات تعاونية . وأثار هذا التخطيط ردود فعل عنيفة عند الذين كانت مصلحتهم أن تظل الأمور كما كانت ، وحصل هؤلاء المعارضون ، بفضل ثورة أبريل ، على عزل فورتادو .

وعندما كان الأسقف هلدركمار في ريو - قبل تعيينه في ريسيف - لعب دورا فعّالا في تأسيس هذه الهيئة الاجتماعية الخاصة بتنمية إقليم شمال شرق

البرازيل . وكان حلقة التّصال بين الأساقفة والحكومة . ولما وصل إلى ريسيف أسف لرؤية هذه الهيئة شبه نائمة . ومع ذلك أعلن قائلاً : " سوف نتابع الصراع لترقية ملايين من سكّان البرازيل . - بأى طريقة ؟ - بتربية القاعدة الشعبيّة .

فى سنة ١٩٦١ ، أسّس اجتماع الأساقفة حركة تربية القاعدة الشعبيّة بتحريض من هلدنر كمارة ومن أسقف آخر يدعى تافورا . وكان المقصود من هذه الحركة تربية كاملة : ليس فقط محور أميّة البالغين ولكن غرس مبادئ الزراعة فى أذهانهم والاهتمام بالصحة والتدبير المنزلي والوطنية والرحلات . وهكذا فرح ملايين من الأشخاص بتيقظهم لحياة إنسانية أفضل وأدركوا كرامتهم وحقوقهم . - والتحق عدد لا بأس به منهم بالنقابات والجمعيات التعاونيّة والمؤسّسات المهنيّة ، يريدون تغيير بعض هيئات ظالمة ، ولكن لم يكن هذا من السهل ، وقوى الحفاظ على القديم كانت متينة .

وكانت هذه الحركة لصالح القاعدة الشعبيّة قد دبرّت كتاباً فيه مبادئ عمل اجتماعي قيّمة ، عنوانه : " الحياة كفاح " وكان الأساقفة الخمسة قد قرأوا هذا الكتاب ووافقوا على مضمونه . ولكن عندما أطلع عليه حاكم ريو ، كارل لاسردا ، رأى أنّه " هدام " وأوقف طبعه . ماذا كان خطر هذا الكتيب ؟ أوضحت هذا الخطر جريدة ريو اليمينيّة الكبيرة يوم ١٣ مارس سنة ١٩٦٤ بقلم الأستاذ جودين . كتب : " الحياة كفاح " ها هو عنوان هدام للغاية ! ... إن مجرد إعلان أنّ لكلّ انسان حقاً فى مستوى حياة لائق نظريّة جديرة بحمار " .

ألّقى النظام الحكومى الجديد مسؤوليّة هذا الهدم على حركة تربية القاعدة



الشعبية . فأغلق عدة مراكز اذاعية واعتقل المسؤولين . هل هو القضاء على حركة التربية الشعبية ؟ - انتقل مدير الحركة الأسقف تافورا والأسقف هلدركمارة إلى العاصمة برازيليا حيث الرئيس كاستلو برانكو ، المنفتح العقل أكثر ممن قلدوه السلطة ، وسمح للحركة بأن تتابع نشاطها .

ولكن ، لكم من الوقت ؟



## الفصل الخامس

### فى هجابه الطغيان

ما هى بالضبط ثورة أول أبريل سنة ١٩٦٤ ؟ إنها تندرج فى معطيات خاصة بأمريكا اللاتينية . قد يندهش مؤرخ المستقبل لاكتشافه أن هذه القارة ، المفروض أنها الاقليم الأكثر كثلكة فى المسيحية ، كانت فى القسم الثانى من القرن العشرين أرض اضطهاد . وليس بحكم طغاة كافرين ، أعداء للديانة ، كما قد يحدث فى بلاد شرق أوروبا أو فى الشرق الأقصى ، ولكن بالعكس باسم الدفاع عن الحضارة الغربية والمسيحية الذى سبب اضطهاد الكنيسة .

#### مذهب " الأمن القومى "

فى الواقع ، إن الأنظمة العسكرية التى ظهرت فى القارة البرازيلية استرشدت ليس بمبادئ العقيدة المسيحية ولكن بمذهب " الأمن القومى " ، الذى صممه فى فكره رجل من السويد يدعى Rodolf Kjellermann . وقد نُظِم هذا المذهب باتصاله بالنازية ونشر بتكليف فى أمريكا اللاتينية .

وفقا لهذا المذهب ينقسم العالم بطريقة متصلبة إلى قسمين : الغرب والشرق ،  
البلاد الحرة والبلاد الشيوعية . ولا يمكن أن يكون القتال بينهما إلا كاملاً .

في البرازيل سبقت الانقلاب حملة واسعة تندد بالمخطر الشيوعى . واشترك فيها  
قسم من الاكليروس : كهنة وأساقفة . وتمثل عصب الفلاحين - فى شمال شرق  
البرازيل بصفة خاصة - المخطر الشيوعى فى نظر القائمين بالدفاع عن النظام  
القائم . - وكان مؤسس عصب الفلاحين هذه محاميا يدعى فرانشييسكو خولياهو .  
اكتشف هذا المحامى فى دفاعه عن الفلاحين حالة الظلم التى يعانون منها : فكان  
كثير منهم ضحايا عنف بل وقتل أحيانا من قبل ميليشيات خاصة تعمل لصالح  
كبار الملاك .

عقد المحامى فرانشييسكو خولياهو اجتماعا سياسياً فى التاسع من سبتمبر سنة  
١٩٦٣ بقرب من ريسيف ، ووزع منشورا يقدم مبادئ زعيم الفلاحين قائلا : إنى  
لست متعطشاً إلى دم ولكنى جئ إلى العدالة . - والعدالة هى الأرض ، هى  
المنزل ، هى الخبز ، هى المدرسة ، هى الحرية ... وتكلم خولياهو عن الانتخابات  
الأخيرة : " هل تعرفون يا زملاي إن أقل من خمس شعبنا قد انتخبوا ؟ لماذا ؟ لأن  
الأميين لا ينتخبون فى بلط يمثلون فيه ٩٠ ٪ من جماهير الفلاحين ... لن يتحرر  
بلدنا بالانتخابات . سوف يحرق بالفلاحين الذين ليس لهم أرض ، بالطالب الذى  
ليس له مدرسة ، بالأطفال الذين ليس لهم مستقبل ، بصاحب محل صغير ،  
بعاملة منزل ، بكل شخص عنده قلب ليشعر بما يمسه من خير أو شر ، وفم ليرتل  
به كلمات نشيدنا الوطنى : " لا شىء من الظلم يظهر فى برنامج العصب " ،  
التى تدافع عن حق الفلاح فى حياة انسانية . أجل ، إن الحزب الشيوعى انضم

للأسف إلى هذه الحركة الاجتماعية الموزونة ، ولكن الحكم القائم انتهز وجود الشيرعيين في الحركة حتى يعتبر عصب الفلاحين كهيئة مرعبة .

### خلطة السيد جولار Goulart ، رئيس الجمهورية البرازيلية

إن اتجاهات رئيس جمهورية البرازيل منذ سنة ١٩٦١ كانت غريبة للغاية . إذ أن خطبه المتقلبة كانت تخاطر بإحداث ردود فعل الضباط . فقلق منها الأسقف هلدر كمارا . - واتفق هذا الأخير مع رئيسه الدينى الكاردينال مته Motta على أن يقابلا رئيس الجمهورية حتى يحذّراه ويمنعاه من أن يورط نفسه والدولة فى اتجاه ملىء بالأخطار . ولكن ، أثناء زيارتهما له سمح الرئيس بأن تؤخذ له ولزواره صورة فوتوغرافية ، ظهرت فى الصحف بعد أيام قليلة ، وجعلت الهيئة العسكرية العليا التى استولت على زمام الحكم تظن أن هلدر كمارا والكاردينال مته يؤيدان هذا الرئيس بدلا من أنهما كانا يحذّرانه .

### الانقلاب

حصل انقلاب على يد القادة الضباط يوم أول أبريل سنة ١٩٦٤ ، وكان شعارهم : " ليطرده الشيوعيون " - ماذا كان رد فعل الكنيسة ؟ عقد اجتماع الأساقفة جلسة فى ريو من ٢٧ الى ٢٩ مايو ، بينما كان هلدر كمارا أمينا عاما لهذا الاجتماع . وأعلن اجتماع الأساقفة بلاغا رغم أنهم كانوا فى تنازع بين

اتجاهين : هنا الاتجاه الأول ، الذى جذب أغلبية الشعب ، الضباط بأنهم أنقذوا الدولة من الخطر الشيوعى بدون سفك دماء ، وحذر الاتجاه الثانى ، الذى كان يستند إلى الأقلية ، من عواقب حقبة التطهير التى كانت على الأبواب . واضطر اجتماع الأساقفة أن يعلن : " نرجو أن يتمتع المتهمون بحق الدفاع عن أنفسهم ، وألا يصبحوا موضع حقد أو انتقام . لا نقبل أن تتهم بعض عناصر تدعى الدفاع عن الضمير الكاثوليكي وارشاده ، أن تتهم بالشيوعية أساقفة وكهنة ومؤمنون أو منظمات مثل العمل الكاثوليكي أو حركة تربية القاعدة الشعبية . فلن نصل إلى إصلاح النظام الاجتماعى طالما لم نستأصل المظالم الاجتماعيه . "

كان الأسقف هلدو كمارة يحاول تفسير الأحداث دونما يؤيدها . فكان يقول : " لا بد من أن تكون لنا شجاعة الاعتراف بخطايا الإهمال التى ارتكبتها نحن ، رجال الكنيسة ، : كنا منشغلين بالمحافظة على السلطة والنظام الاجتماعى إلى حد أن أصبحنا غير قادرين على أن نرى المظالم الهائلة التى تخفيها هذه السلطة وهما النظام . كنا نتحدث عن الصبر والطاعة واتحاد الآمن بالأم المسيح ، وكان لكل ملكية كبيرة معيها ومرشدها الروحى ، وكان السادة الكبار والحكومات فى واحة لسند الكنيسة ، ولكن اليوم ، عندما يرى المسئولون أساقفة وكهنة يتدنون بالمظالم يعتبرونهم مهيجين ومخربين ، فيندد أصحاب الحكم بتسرّب ماركسى فى الكنيسة .

من الآن يسود برازيليا النظام الصاوم ، الذى شدّد سطوته بعد الضربة القاسية التى تمّت يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، حيث " الأقوياء " أرغموا المشير كوستا اي سيلفا على اصدار الحركة المؤسسية رقم ٥ التى تشير إلى بداية استبداد حقبلى :

حلّ البرلمان وتفويض كامل والغاء الضمانات القضائية ... إن كلّ الذين يظهرون أنّه بإمكانهم أن يؤدّوا إلى معارضة النظام العسكري القائم - عمّالا كانوا أو فلاحين ، طلابا أو صحفيين ، رجالا سياسيين أو دينيين - يعتبر الحكم القائم أنّ اتّجاههم معروف ومعين ، أي شيوعي . وعليه ، تعرّضهم أقلّ شبهة الى الاعتقال أو الحبس أو التعذيب بل أحيانا الى القتل .

وللقبض على المشتبه فيهم تدخل قوات النظام بغتة أثناء الليل في المنازل مثل الشرطة السريّة النازية سابقا ، أو ينظّمون اختطافات في عرض الشوارع ... وقد توجد منافسة بين أقسام قوات الشرطة : الشرطة الاتّحادية ، شرطة كلّ من الاثنتين وعشرين ولاية ، شرطة كلّ من القوات الثلاث : البريّة والجويّة والبحريّة ، وتعطى دروس تدريب على طريقة انتزاع الاعترافات بالمخطأ . يزداد على ذلك اختصاصيون لا يتكلمون إلا باللفّة الانجليزية وأنظمة خاصّة مثل كتائب الموت ، المكوّنة من أشرار تخصّصوا في القتل والاعتقال . في الاجمال ، هي سلسلة أوكار أقوى من الحكومة وأصحاب سلطة أعظم من سلطة ميديسي Medici رئيس الوزارة ، الذي هو شخصيا عدو التعذيب .

## اغتيال الأب / نيتو

كان هدرا كمارة الهدف المفضّل للنظام القائم : أنهكته التهديدات والرسالات والمكالمات التليفونية الليلية . ثبّت طلقات رشاش صغير جدران مقره ، وخطّطت يد مجهولة بحروف من دم هذه الكلمات : " ليقتل الأسقف الأحمر " ولكن من

يجرؤ على قتله ؟ سوف يعتبره الناس شهيداً ويشير قتله سحق الشعب . ولذا ، هدف إليه أعداؤه عن طريق أقرب معاونيه وأمين سره ، وهو الأب / أنطونيو بيريرا نيتو Antonio Peirera Neto ، الذى لم يتجاوز الثامنة والعشرين سنة من عمره . وفى يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٦٩ ، وُجد الكاهن الشاب مشرقاً على شجرة ، ممزق العنق ، مصاباً بثلاث طلقات فى رأسه وعلى جسمه آثار تعذيبات . وكان الاغتيال فى الغالب عمل فدائى قصص الشيوعيين .

كانت جنازة الأب / نيتو مثيرة للغاية : فعلى مسيرة عشرة كيلومترات ، ورغم المطر المنهمر ، رافق خمسة آلاف صديق له جثمانه ، الذى كان يحمله طلاب ، يرتلون مع الشعب : " ما من حبٍّ أعظم من حبٍّ من يبذل نفسه فى سبيل أحيائه " ( يوحنا ١٥ : ١٣ ) . وأثناء دقائق ، انتهزت الفرصة بعض فرق من الشعب ، وفكرت فى اظهار لافتة مكتوب عليها : " ليسقط الطفهان ! " فهجمت الشرطة لضربها ، ولكن ، فى لحظات وُجد هلدركمارة فى التصادم وهذا الجميع .

وخلال القداس ، أعلن الأسقف هلدركمارة قائلاً : " بصفتنا مسيحيين ، لننقد بالمسيح وبالشهيد اصطفانوس ، ولنطلب من الله أن يعفو عن القتلة ، مرددين كلمة يسوع : لأنهم بجهلون ما يفعلون " . ولكن اعتراض الأسقف كان مع ذلك شديداً : " نحن نقسم أن نكون أمناء على الكفاح لتحرير شعبنا مادياً وروحياً " . وكان الشعب يردد : " نقسم ذلك " . - كانت هيئة الأساقفة فى البرازيل والبابا بولس السادس متضامنين تماما مع هلدركمارة ، الأولى بهلاغ والثانى بيريقيّة ، يعبران بهما عن اشتراكهما فى حداد أسرة الكاهن المقتول وفى حزن وثيس أساقفة رسييف .



## المحامي عن شعبه

إنَّ أسقف ريسيف سوف يجعل نفسه حارس شعبه أثناء الطفيلان . - بين جميع تدخلاته نكتفى هنا بتدخله الذي حصل يوم أول مايو سنة ١٩٧١ ، وهو يوم عيد العمل . - وجه الأسقف هلدرك كماره ومعاونيه الأسقف لامارتين رسالة إلى " إخوانهما في الأسقفية " وإلى " شعب الله " في أبرشيتهما ، يقولان فيها :

" نشهد في مدينتنا عددا كبيرا من حالات التغييب واحتجازات واعتقالات لأشخاص ، لاسيما بين العمال والطلاب . ولا يشير المسئولون عن هوية هذه الحالات الأنادرا ، لأنهم لا يقدمون البيته ما يبرر الأمر بالقبض . فهم يقبضون على الأشخاص في المنازل ، أو إذا كانوا عمالا أو عاملات ، ففي مقر عملهم وزمنه ، مدعين هكذا أن المتهمين ارهابيون خطرون ... وليس من الصعب أن نستشف جو الذعر الذي يسود في العائلات المتروكة بدون أية إشارة إلى المكان الذي يحتجزون فيه أقاربهم المعتقلين . وفيما بعد ، يسير الأقارب على غير هدى من قسم شرطة الى آخر أو جيش ، من دولة البرنامبوك أو مقر الحكومة الاتحادية ، حيث يظنون اكتشاف الضحايا . ولكن هيئات :

ويقول هلدرك كماره : " بصفتنا رعاة الشعب ، نتحمل مسئولياتنا أمام الله ، ونؤكد للأسف أن اللجوء إلى التعذيبات الجسمية والأدبية غير المعقولة أصبح هو القاعدة العامة ... فالى متى ( بحجة الكفاح ضد الارهاب ) ، سوف نستعمل طرق ارهابية تجعلنا نميل إلى الطلب أن يطبق على الأقل ازاء الضحايا قانون حماية الحيرانات ؟ "

وأحياناً ، كان الأسقف يتدخل في حالات معينة : وهذا ما قام به يوم ١١ يناير سنة ١٩٧٣ لصالح أحد معارثيه في الحركة التي تدعى : " تقابل الأخوة " .

" يوم الاثنين ٨ يناير ، بين الساعة التاسعة والتاسعة ونصف صباحاً ، كان خوايو فرنشيسكو في منزله ، و فجأة خرج أربعة رجال هزى مدنى من سيارة بدون لوحات معدنية رسمية وبدون أن يعرفوا بأنفسهم ، ودخلوا المنزل برشاش صغير في قبضة اليد ، وطلبوا بصياح " الأسلحة والوثائق " . فاستولى الرعب على زوجة خوايو ، التي كانت حاملاً وفي شهرها السابع ، فوقعت على الأرض ، وسبب رعبها وسقوطها خطراً جسيماً لحالتها الخاصة . وبالطبع لم يكن هناك أى وجود للأسلحة ولا لوثائق . فتش المعتدون المنزل برمته وملأوا حقيبة من كتب وأوراق لا قيمة لها . وقادوا خوايو فرنشيسكو إلى السيارة بعدما قيدوا يديه وراء ظهره ، وأحاطوا به هم الأربعة بأسلحتهم . - وتابع هلدر كمارة قائلاً : " فذهبتُ مع الأسقف المساعد إلى مقر الأمن الدولي العام ، ولكننا لم نحصل على أية معلومات . ولذا فنحن نندد من جديد بجور القلق والاضطهاد الذي نعيش فيه .

## مهذّب بالموت

في مقر القيادة العسكرية العليا لعل أكثر من شخص يفكر في الأسقف هلدر كمارة ويقول في نفسه : " آه ، يا ليتنا نسكت نهائياً صوت هذا الشخص ! ... " يا ليت التهديدات بالموت التي تصله بالبريد اليومي تتحقق يوماً ما ! " ... وفي الواقع يدرك هلدر كمارة أنه من الممكن أن يعاني ما عاناه غاندى أو القس مارتين

لوثر كنج ، أى أن يكون مصيره القتل ... وكان يلمح إلى ذلك عند مروره بروما فى أبريل سنة ١٩٦٨ قائلا : " قد تكون زيارتى هذه إلى روما الزيارة الأخيرة : وفعلا ، كانت تدبر عدة مؤامرات ضد حياته . أعلن المطران نيجريروس Negreiros أن أناسا أخبروه بتآمر على شخص هلدركمارة لازالته ، ليس باعتداء مباشر ، ولكن بتصنع حادث مثل الذى قضى على حياة المطران أنجلى Angelelli الأسقف الأرجنتى .

وكان أصدقاء هلدركمارة قلقين لعلمهم بأنه لا يتخذ الاحتياطات اللازمة للنجاة من الخطر . وكان هو يردّد : " يقال لى إنه ليس من الفطنة أن أفتح بابى شخصياً وأن أركب سيارة أى شخص كان ، وأنّ چون كندى كانت تحرسه أعظم شرطة فى العالم ، ولم يمنع ذلك من أن يُقتل . " - ومراك أخرى ، كان يجعل هلدركمارة يده ترمّ على جبينه الأصلع ويقول بفكاهة : " يسقط شعر رأسى ، ولكن لا شعرة تسقط بدون إذن الأب . وقال للبابا بولس السادس ، الذى كان يسهر على سلامته : " إنى أجيب على قداستكم بقلب مفتوح : يخيل لى أن تقدمة الحياة لسلام العالم ، وللتقارب بين البشر نعمة لا يستحقها أحد . وعليه ، اذا أهدانى الرب هذه النعمة بدون أى استحقاق من جهتى ، ليس على أن أهتم البتة بذلك ! " . وفيما بعد ، سوف يستشهد برئيس أساقفة سان سالقادرور : " استحقّ أوسكر روميرو حظوة الاغتيال خلال القداس ، مازجا دمه بدم المسيح . "

فغير منتظر أن تخور قوى الأسقف كمارة : قد تُقتل الرجال ولكن الأفكار لا تقتل . وأفكار هلدركمارة ، سوف يستمرّ فى التعبير عنها مهما حدث : فى البرازيل ، بقدر الامكانيات التى تترك له ، وبحريّة أعظم وأبعد من البحار .



## الفصل السادس

### أنه يرفض التعذيب

نحن في مايو سنة ١٩٧٠ . دعا المركز الفرنسي لأصحاب الفكر الكاثوليكي هلدنر كمارة ليلقي محاضرة يوم ٢٦ مايو . وبعد التردد على اختيار قاعة المحاضرة ، اختار المسئولون قصر الألعاب الرياضية في باريس . ومع ذلك فكروا في أن هذا القصر قد لا يكفي لاستيعاب المستمعين ، رغم أنه يتسع لأربعة عشر ألف مستمع .

لماذا هذه الجاذبية لاستماع هذا الرجل ؟ في الآونة الأخيرة ، تحدثت الصحافة في العالم ، وبالأخص في فرنسا ، عن حالات التعذيب في البرازيل . ولكن وزير العدل في البرازيل كذب هذه الأخبار ، قائلا : " لا يوجد تعذيب في البرازيل ولا يعتقلون سياسيون ، ولكن فقط حملة ذم عالمية يديرها عملاء يحاولون قلب نظام الحكم القائم .

ولكن ما الأمر في الحقيقة ؟ - ينتظر الناس جوابا عن هذا من الأسقف هلدنر كمارة .

بالنسبة إليه ، هي مشكلة ضمير . هل يسمح لنفسه أن يندد بحكومة بلده في الغربة ؟ وهل هو ، رجل الكنيسة ، الذي يكره أن يتفرد بالقتال ، سوف ينقض أقوال بعض إخوانه الأساقفة الذين أكدوا في الواقع قضية الحكومة ؟ ألا يجازف هكذا بأن يجرد هو شخصياً من حقوقه الوطنية وأن يرى نفسه محروماً من متابعة رسالته كرسول العدالة والسلام عبر العالم ؟ - خلال ثلاثة أيام ، عاش مأساة الأسقف الذين كانوا قد عهد إليهم بمشاكلته . وهو كان يصلى طويلاً أثناء سهره يومياً . - أخيراً قرّر أنه سيتكلم : لأنه قبل أن يكون مواطناً برازيلياً هو أسقف من أساقفة الكنيسة الجمعاء ، وهو أخ لجميع البشر . وقبل مصلحة الدولة توجد مصلحة الله .

### "الانعداء بجلاوى يسوع المسيح"

كان خمسة عشر ألفاً من المستمعين ينتظرون هلدركمارة في قصر الألعاب الرياضية مساء يوم ٢٦ مايو . حيّوه بحماس وهو داخل إلى الميدان : وحيث يجابه رجال مفتولى العضلات كان نجم السهرة رجلاً صغير القامة هزيل المظهر ، يجرؤ أن يصمد في وجه طغيان عسكري ذى نفوذ ، كأته داود ضد جليات .

فوراً ، أوقف هلدركمارة مستمعيه على حقيقة الأمر قائلاً : " لو لم تكن لي الشجاعة هذا المساء أن أكلمكم بصدق وصراحة عما يحصل في البرازيل ، لاقتنعت تماماً أنني خيبت أملككم . سأتكلم إذن بقوة وجدية . ولكن افهموا جيداً لا يوجد في قلبي أقل أثر للحقد .

لم يكتف هلدركمارة ، الرجل الذى يدافع عن الانسان ، بتبليغ عام عن التعذيب ، بل ذكر حالتين واضحتين : الحالة الاولى حالة طالب فى ريسيف يدعى لويس ماديروس Luis Madeiros . زاره الأسقف فى سجنه ورأى أن الجلادين قد كسروا أعضاء جسمه وقلعوا أظافر أصابعه . وأفضى اليه المسكين بأنهم هرسوا أعضاء التناسلية . فارتجف هلدركمارة من الهلع وذهب يبلغ حاكم لبرنامبوق Pernambuco : ( اسم ريسيف سابقاً ) سخطه . فسأله هذا : " هل تعرف طريقة أخرى للحصول على معلومات ضرورية لحماية النظام العام ؟ " عذر أقبح من ذنب ! كأنه يمكن أن نأتمن على اعترافات انتزعتها تحت التعذيب ."

**والحالة الثانية** حالة راهب دومينكانى شاب من ساو باولو يدعى تيتو دى أنكار / Tito de Alencar ، لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره . حينئذ الشرطة فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ حتى يعطيا أسماء بعض أناس متهمين . وبما أنه كان يرفض الكلام أخضعته لتعذيبات مختلفة : ربطوه عارياً مقيد الأيدي والأرجل ، وعرضوه لصدمات كهربائية ، مثل كرسي التنين وهو نوع من التعذيب الكهربائى المعروف والدهليز البولاندى ، الذى يمر فيه المسكين بين صقين من العساكر يشبعونه ضرباً حتى يقع على الأرض مغشى عليه . وكان يقول النقيب البرفاز / Albervaz ، أحد الذين عذبوا تيتو أنكار : " إن لم يتكلم ، سوف يحطم من الداخل : اتنا نعرف كيف نقوم بما يجب عمله دون أن نترك آثاراً ظاهرة ."

هكذا ، ليست عمليات اباداة الشخصية هى احتكار الأنظمة الماركسية ، بل تظهر أيضاً لدى أنظمة تدعى حماية قيم الغرب المسيحى . يذكر هلدركمارة مثل تعذيب نفسانى ( محض لتعذيب جسمانى ) رواه تيتو نفسه فى رسالة الى رئيسه

الرهباني ، قال : " ألبسني رجال الشرطة حلة كهنوتية وطلبوا مني أن أفتح قمى على زعمهم أن أتناول القرمان الأقدس ، وأدخلوا في قمى سلكا كهربائيا . وبالطبع ، احترق قمى وانتفخ انتفاخا كاملا ، وكانت غايتهم أن أصير مجنوناً . "

واحتمالا أن يخضع تبعو لجلسات أخرى من هذا القبيل ، انحطت قواه النفسية إلى حدّ أنه حاول أن ينتحر بقطع عروقه بواسطة قطعة من صفيح منزوعة من علبة سردين . - عندما استعاد حواسه ، كان في مستشفى عسكري ، تهتمّ به راهبة من راهبات المحبة . ركان الأسقف أرنز / AMS ، مطران ساو باولو المساعد وفيما بعد كردينال ، واقفا على رأس فراشه . فقال له الراهب الدومينكاني : " ليست حالتى حالة استثنائية البتة " ، ما حصل لى هو القاعدة العامة للأسرى السياسيين : كثير منهم ماتوا ، وأصبح غيرهم صما أو عقيما أو مجانينا . " وهذا يذكرنا بأقوال فرونسا مورياك اثناء حرب الجزائر : " بعد تسعة عشر جيلا من المسيحية ، لا يظهر أبدا المسيح فى شخص المعذب فى نظر الجلادين الحاليين .. وبها للفرابة ! إنهم لا يسمعون عبر صرخات ضحاياهم وأثاتهم صوته المعبود : " الى تفعلون ذلك " .

سوف يعترف هلدركمارة بصراحته المألوفة : " نحن ، معشر المسيحيين ، علينا أن نعترف أن فى زمن " محكمة التفتيش " قد اشتركنا فى هذا التعذيب . عندما أقارن بين آلات تلك الأزمنة الغابرة وآلات أماننا ، أكتشف شيئا جديداً واحداً : هو الكهرباء .

وانطلاقاً من التعذيب الجسماني ، وسّع هلدركمارة آفاقه فى محاضراته إلى



المسلح طريقة أقل ضرراً من اضطهاد الفقراء ؛ انى أطلب ممن يلجأون اليه أن  
يتمتعوا عواقب عمله . بعدما اختطفت الشرطة سنير الولايات المتحدة الأمريكية  
وقنصل اليابان ، جرى اعتقالهما وتعذيبهما ، إلى حد أنهما سلما أخيراً اسما  
زملائيها . هل تعتبر نتيجة هذا العنف شريفة ؟ - بعكس ذلك ، إن هلدركمار  
يؤمن بعنف المسالمين ، بسلطة الرأي العام التي أثرت في الصحافة في فرنسا ،  
وأبعد منها في الأنظمة العالمية : هكذا ، حررت رابطة رجال القانون العالمية  
معضراً بحصى اثني عشر سجناً سياسياً في البرازيل .

الأ أنه لا يكفي أن يضع حداً للتعذيبات ، فإن مأساة الجيل هي حالة البلاد  
النامية . ومحدثنا اليوم هو ان ننتزع ملايين من البشر من الظلم والبؤس : ويوجد  
بؤساء حتى في البلاد المتقدمة . "

اعترف الرئيس چونسون أن ثلاثين مليوناً من المواطنين الذين يعيشون في  
الولايات المتحدة الأمريكية في حالة غير لائقة . وهل لديكم علم بحالة بلدكم ،  
أنتم أيها الفرنسيون ؟ اتحدوا لوضع خريطة لفرنسا الحية ، لاكتشاف فقرائكم  
وعمالك الكادحين . وانطلاقاً من لقائكم معهم ، ابحثوا عن سبل العدالة ،  
معطين هكذا المثل للبلاد المتقدمة الأخرى .

وضعت محاضرة هلدركمار الحماسية هذا العدد البالغ من المستمعين الحاضرين  
في قصر الألعاب الرياضية في حالة يقظة وانتباه ، ورددت بأسهاب هذا الكلام  
القاطع أغلب وسائل الاعلام ، بما فيها صحف اليمين ، لسن حالة المعارضة .  
وفي المجلة الملكية ، أقر چاك بلانچي / Jacques Blangy بأن مشاعره قد اهتزت

بكلام هذا الرجل البسيط ، ضعيف البنية ، الهزيل كالقصب ، ولكنه ناهض بقوة داخلية عظيمة ... أليست هذه الشعلة الباطنية الملتهبة وهذه الأذرع المرفوعة نحو السماء وهذه الكلمات القاطعة كالسيف علامة على أن نبياً قد قام ؟ - أما دومينيك جاميه / Dominique Jamet ، في صحيفة Le Figaro littéraire ، فرأى في الأسقف هلدنر كمارة رجلا من عرق المهاتما غاندى ومارتن لوثر كينج .

من هو هلدنر كمارة في النهاية ؟ قد نقول برودة الفعل الأولى : " هو رجل ضال في عالمنا الظالم ، ولكن لنقل بالأحرى : هو رجل عادل في عالمنا الضال . "

وفي اليوم التالي للمحاضرة ، أي يوم ٢٧ مايو ، على بعد آلاف من الكيلومترات ، تبنت جماعة أساقفة البرازيل بالأغلبية الساحقة ( ١٥٩ صوتا إيجابياً و ٢١ صوتاً سلبياً و ٣ أشخاص امتنعوا عن التصويت ) وثيقة رعائية شملت فقرة تندد أيضا بالتعذيب . فانشرح قلب هلدنر كمارة وشكر الله عندما علم بهذه المبادرة حال وصوله إلى متروكهم .

### كلمة اليابا هولس السادس

وما هو رأي روما ازاء الأحداث التي يتندد بها أسقف ريسيف ؟ قدم الكاردينال روي ، رئيس لجنة العدالة والسلام الباهوية إلى اليابا هولس السادس ملفاً ضخماً جمعت فيه ووصفت بدقة مائتان وستون حالة تعذيب ، تذكر كل حالة اسم الأسير وسوء المعاملة الموجهة اليه وآلات التعذيب المستعملة ضده . بالاضافة الى

التصرّفات التي ذكرها هلدركمارة في باريس ، تستشهد الوثيقة بغيرها : يعصر جلادون أئداء نساء بكماشات ، ويتصنّعون فصيلة اعدام ليخيفوا الأسرى ويذيعون صيحات المذبّين ، مسجّلة على آلة تسجيل ... يعذب زوج أمام زوجته أو بهتك عرض زوجة أمام زوجها . وتشمل أحيانا الاعترافات التي انتزعت ووقّع عليها البند الآتي : " أقرّ بهذه التصريحات تلقائيا بدون اكراه جسماني " .

هزّت هذه الاعترافات مشاعر البابا بولس السادس : وفي جلسة ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧٠ العامّة ، دون أن يذكر البرازيل بالاسم ، أشار إليه عالياً عندما ندد بالتعذيبات قائلاً : " يتحدث الناس عن التعذيبات كما يتحدثون عن وباء منتشر في عدّة أنحاء من العالم ، ويقال ان مركز هذه التعذيبات هو بلد يقوم بمجهود تقدّم اقتصادي واجتماعي ، يقدره الجميع ويحترمونه حتى اليوم كبلد حرّ وحكيم . والآن لا بدّ اذن من إدانة قويّة لهذه التعذيبات ، أي هذه الطرق العسكرية الوحشيّة وغير الانسانية ، المستعملة لانتزاع اعترافات من شفاء الأسرى . هي اهانة ليس فقط للسلامة البدنيّة ، بل أيضا للكرامة الانسانية . وهي تدلّ معنى العدالة وعظمتها وتوحى باحساسات حقد وانتقام معدية ولا شفاء لها . فلا بدّ من التنديد بها والغائها .

## دفن حيا

كانت تصريحات الأسقف كمارة في باريس لها بالطبع صدى في البرازيل : وابتداء من هذا التنديد بالتعذيب أصبح هلدركمارة أبغض الناس للنظام البرازيلي

القائم . وشنت حملة ضدّ، حيث كتبت احدى صحف ساوباولو : " أن الأسقف كمارة فضح البرازيل في الفرية " . ونعته حاكم هذه المدينة السيد / أبروه / Abreu ، به " فيديل كاسترو بزي كهنوتي " متهمه بأنه في خدمة الأحزاب الشيوعية في أوروبا . أما الكاتب جستافو كورساوه / Gustavo Corção فأوحى بأن البابا يقدم لهلدو كمارة ليس قبعة كاردينال ولكن قبعة مكسيكية بثقين لأذني الحمار الذي يتطابق الأسقف معه ...

ويقول هلدو " ازاء هذه الافتراءات ، كان محرّما على أن أقدم أقلّ تصحيح في الصحافة . ثمّ فكر البعض في أنه لا داعي أن أعتبر نفسي ضحية . وعليه منعت كل وسائل الاعلام من أن تذكر اسمي ، وخلال عشر سنوات اضطررت الصحافة والاذاعة والتليفزيون أن تمتنع عن نشر أية معلومات أو أية وثيقة آتية مني أو تتحدّث عني . وكان محكوما على بالموت المدني ، وكأنه أصبح لا وجود لي . "

في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، كنّا نتحدّث كثيرا عن الكنيسة الخادمة والفقيرة . ولم أكن أعرف بعد أن الفقر الحقيقي ليس هو الذي نختاره ؛ فكنت أظنّ خاصّة في فقر قد يؤدي إلى تجريد من المال . ولم أدرك أن الثروة التي كان يرغب الربّ أن يخلّصني منها هي الشهرة . كنت أحظى بسمعة عظيمة في بلدي ؛ أصبحت أليف العظماء الرؤساء والوزراء ... وكان الناس يتحدّثون عني ناشرين صورتي في كل الصحف والمجلات ، وكنت أهبّ عدة برامج شعبية في الاذاعة والتليفزيون . والربّ ، الذي كان يعرف في قرارة نفسي رغبتني في الفقر ، اهتمّ بانتزاع ثروة الشهرة مني . بفتة ، سقطت في الصفر ، في أقلّ من

الصفحة ...

ولكن ، من الشرّ قد ينبت الخير : فصوت الأسقف كمارة الذي من الآن لم يكن  
يمكنه أن يعبر عن شيء في البرازيل ، سوف تنتفع منه بلاد أخرى في الغربية . لم  
تكن محاضراته في باريس يوم ١٧ مايو سنة ١٩٧٠ إلا احدي توطئاته الكثيرة  
عبر العالم .



## الفصل السابع

### العالم وعيتسى

ترجع أسفارى فى العالم إلى المجمع المسكونى الأخير ؛ بموجب الصداقات التى ارتبطتُ بها بمناسبة المجمع ، حصلت على عدّة دعوات ، متوسطها ثمانون دعوة فى السنة ، ولكنّ ذلك يفوق طاقتى . ولذا ، اتّفقت مع البابا بولس السادس على أن أحصر أسفارى ضمن خمسة أسفار عالمية فى السنة ، أتوجّه فى كلّ سفر كبير إلى عدّة بلاد .

أهّ بلاد ؟ - البلاد الصناعيّة أساسا ؛ فهمت أنّه من واجبى أن أحرك البلاد الغنيّة حتّى أحصل على تغيير الأنظمة التى تسحق ثلثى البشريّة . لأنّه بدون تغييرات محسوسة فى البلاد المتقدّمة لا يمكن أن نحصل على تقدّم حقيقى عندنا . ولذا ، كانت أسفارى إلى الولايات الأمريكية المتّحدة وكندا واليابان وأوربا ولاسيما فرنسا .

حقّا ، أنّها لمحنة بالنسبة إلىّ أن أغيّر خلال أسفارى غالبا منطقة زمنيّة وطقسا ، وأن أتكلّم لغات غير اللغة البرتغاليّة . ولكن ، " لست غريبا فى أيّ بلد من بلاد العالم . وبما أنّ أبانا السماوى هو واحد ، فأنى أشعر بأنّى أخ لكلّ شخص

ما هي المواضيع التي نتعرض لها ؟ انها تتعلق أساسا بالعدالة والسلام :  
كوضع البلاد النامية وبليلة التجارة العالمية وسباق التسلح وبيع الأسلحة والعمل  
المسالمة وحماية حقوق الانسان ... لا يحصل هلدركمارة على كفاءة خاصة فنية في  
هذه المسائل ، ولكن كفاءته الاليجيلية تسمح له بأن ينطق فيها بحكم أخلاقي  
صائب .

## الشركات الرأسمالية العالمية

كان أحد المواضيع التي يرجع إلى ذكرها الأسقف كمارة في أغلب الأحيان ،  
وفي السبعينات خاصة هو موضوع الشركات الرأسمالية العالمية . - ومعلوم أن  
قانون هذه الشركات ، مثلما هي الحال في الشركات الرأسمالية الأخرى ، هو  
قانون الحصول على أكبر ربح ممكن . فبالنسبة إليها ، إن المسؤولية الاجتماعية لا  
تكون وادعا لهذا القانون لأنها لا تؤخذ بعين الاعتبار . عندما تنضب منابع الربح  
تُغفل الشركة ويرحل أصحابها إلى مكان آخر . فتؤخذ القرارات بعيدا جدا عن  
المؤسسة ، بالرجوع إلى محاضر وجداول وأرقام مجهولة أصحابها . - يقول  
الأسقف كمارة : " انى أصادف مديري مصانع خاضعة لشركات رأسمالية عالمية  
يقولون لي : " لا يمكننا أن نتخذ الاجراءات التي قد تبدو لنا عادلة وانسانية ، لأن  
أصحاب العمل موجودون في أماكن أخرى ، إلى حد أننا لا نعرف دائما بالضبط  
من هم وأين هم . " إن الشركات الرأسمالية العالمية هي الامبراطوريات الحقيقية  
في أيامنا وتمثل أسيااد العالم الحقيقيين . وهي أقوى من الدول ذاتها .

وفي جلسة عن التنمية جمعت ممثلى الأحزاب السياسية والكنائس والجامعات



الألمانية وبضعة أشخاص ألمانيين مرموقين ، شرح الأسقف كمارة أنه لو كانت البلاد المتقدمة لديها الشجاعة الكافية للبحث عن مصادر ثروتها لرأت أن هذه المصادر منغمسة في برؤس العالم الثالث . فانتصب شابٌ وقال : " يوجد هنا بيننا ممثلو ثلاث شركات كبيرة : Deutsche Bank, Mercedes-Benz and Volkswagen . قد يفيدنا كثيرا أن نعرف ماذا وظفت من أموال خلال العشر سنوات الأخيرة في العالم الثالث ، وما هي الأرباح والفوائد التي جنتها من هذه العملية المالية . وعليه ساد الصمت بين أصحاب المصالح .. ولكن لسان حال الشباب تابع قائلا : " لدينا هنا معاصر هذه الشركات الكبيرة ، وذكر أرقاما تفيد أن الفوائد التي جُنت من العالم الثالث تفوق بكثير المبالغ المرؤفة .

ولى زيورخ / Zurich ، إحدى مدن سويسرا ، جرّو هلدنر كمارة أن يتهم بنوك هذا البلد التي تقبل حسابات مرؤمة تخص بعض أثرياء من البلاد الفقيرة ، قائلا : " هل تعرفون أن هذا المال يحتفظ في جوفه بدموع جماهير من البلاد النامية ، يعرفهم ودمهم ؟ " وحدث تدخل مزعج من الاتحاد السويسري العام ، الذي تجاسر أن يوجه انذارا للأسقف المحلي ، إذ أنه ، بحسب قرار اتّحادي " لا بد من أن الرعايا الأجانب يمتنعون عن التدخل في مسائل السياسة الداخلية " . فلا يجوز ازعاج صمت الخزان ...

قابل الأسقف كمارة في ألمانيا والسويد شبانا كانوا يمارسون الضغط على الشركات الرأسمالية العالمية التي أقامت مركزها الاجتماعي في بلادهم . وكانوا قد اشتروا بضعة أسهم بمدخراتهم ، ليعطوا لأنفسهم حق المشاركة في جمعية المساهمين السنوية العامة . وقبل هذا الاجتماع ، كانوا قد وجهوا رسالة لمساهمين آخرين

بالمعنى الآتى : " نريد ، أن نشتتر أموالنا مثلكم بأكمل فائدة ، ولكن ليس بأى ثمن ، ليس مقابل سحق أشخاص من البلاد النامية . ولذلك ، ندعوكم أن محضروا الجمعية العامة وأن تنتبهوا إلى المعلومات التى سوف نقدمها ... " ولكن ، الشركات المعنية غيرت برنامجها فوراً بصفة أن يكون حق الكلام لكبار المساهمين فقط ...

واستمر هلدنر كمارة بالبديهة الحاضرة دائماً يلح فى أن تكون الانشادات الرهبانية متيقظة لتوظيف مالها ، أى أن تستعلم عن تخصيصها وعن مصدر بعض أرباحها .. وهذه توصية لها قيمتها الخاصة عندما توجه الى أعظم المنشآت الكنسية ، أعنى القاتيكان ، حيث الأسقف الشجاع لم يتردد أن يثير المسألة .

وغالباً ما أثرت كلمات هلدنر كمارة فى مستمعيه من شباب أوربا . فكانوا يقولون له : " سنأتى عندكم لنساعدكم " وكان جوابه " أمكثوا عندكم ، ساعدوا مواطنيكم على أن يدركوا أن جذور الشر الذى نعانى منه مطمورة فى أرضكم نفسها ، فى قلب البلاد الغنية ، فى فوائدها وممارساتها . لا بد بالأخص من تغيير سياسة التجارة العالمية والتخلص من تنقيص قيمة مرادنا الأوكية ، التى تحدد أثمانها فى كبار الساحات المالية ؛ فعندما نقارن بين الأموال الموظفة فى أمريكا اللاتينية مع المال الذى يعرود إلى الولايات المتحدة الأمريكية نلاحظ هذه السخافة : أن أمريكا اللاتينية هى التى تساعد أمريكا الشمالية : أجل ، قد انتهى الاستعمار السياسى ولكن الاستعمار الاقتصادى لا يزال قائماً .

## من فيكالغو الى كارغسون ( فرنسا )

بالإضافة إلى المواضيع الهامة عن العدالة والسلام فإن بعض المحاضرات تتناول مواضيع أكثر تحديداً : في فيرنيزه ( ايطاليا ) ، يشارك الأسقف كمارة في ختام مسيرة خمسين ألف شاباً " لصالح العالم الثالث " ، ويحثهم على أن يلتزموا بكفاح مسالم ولكن جذري لإقامة علاقات عدالة بين الشمال والجنوب . وقام بجانب هلدرك كمارة نبيان آخرا من جيلنا : الأخ روجيه ، رئيس الدير البروتستانتي المشهور في فرنسا ، الذي ارتبط معه الأسقف كمارة بصداقة أثناء المجمع القاتيكاني ، ورؤول فولرو / Raoul Follereau ، رسول البرص ، الذي قال لرئيسي أمريكا وروسيا : " ليعطني كل واحد منكما طائرة قصف أي قاذفة من قاذفاته وأنا أعالج كل برص العالم " .

وفي مونترو ( سويسرا ) ، أثناء المؤتمر العالمي الخاص بالمساعدة المسكونية لمشاريع التنمية ، ألح الأسقف كمارة في مسئولية المسيحيين . لأن هؤلاء الذين يكوّنون العشرين في المائة من سكان الأرض ، والذين يركزون بين أيديهم ثمانين في المائة من موارد العالم ، يقيمون في نصف الكرة الأرضية الشمالي ، وهم من أصل مسيحي . " أي تأثير قد تحدثه المسيحية في اخوتنا الذين في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، إذا أرادوا أن يحكموا على الشجرة من ثمارها ؟ وأكثر حزناً من ذلك : نحن ، معشر المسيحيين ، قدمنا مشهد كفاحاتنا وخلافاتنا ، التي تمزق هكذا معنوياً " قميص المسيح الغير مُخيط " ... أية شهادة عظيمة يمكننا أن نعطيها إذا مارسنا معاً نصائح نصوص ميديلين الجميلة ( التي حررها أساقفة أمريكا اللاتينية ) ونصوص أوسالا Upsala (اجتماع مجلس الكنائس المسكوني) " ١

فى شهر مارس سنة ١٩٨٠ ، رجع هلدر كمارة إلى سويسرا ، فدعاه أصدقاء له كاثوليك وبروتستانت ليحدثهم عن مشكلة العمال الموسميّين ، الذين لا يعملون إلا تسعة أشهر سنويًا ، ولا يُسمح لهم أن يحضروا معهم عائلاتهم . فقال الأسقف كمارة للمسئولين : "سويسرا عزيزتى ، دعينى أسألك : " هل من الانسانية بشىء أن تقبلنى عمالًا يعيشون بدون زوجاتهم وأولادهم ؟ ... اذا سمحت للجميع أن يحضروا سوف تكونين أقل ثروة ، ولكن ما هى ثروة الذهب . أجل ، لا بد من المال ، ولكن بشرط أن يظلّ خادما وليس سيّداً " .

.. فى الشهر التالى كان فى باريس ، حيث دعتة جمعية " المعونة الكاثوليكية " فى اليوم الذى تدعوه " باريس أرض ترحيب أو منفى " . بعد محاضرتة اقترح أن باعشى نشاط أعمال الاحسان يزورون حى نقطة الذهب Goutte d'or (١) ليدركوا الحالة محليًا - زار هلدر كمارة هذه المنطقة وقال : " رأيت عمارات أنتزعت منها أسلاك الكهرباء ، وقُطع الماء وألغيت التدفئة . سوف يتخلص المسئولون ، فى القريب العاجل من الفقراء والمهاجرين ليجددوا الحى بعد إعادة بناء العمارات ، ولن يكون فى مقدور الفقراء والمهاجرين أن يواجهوا الأجر الجديدة : البؤس ، يوجد فى كلّ مكان ، أوحى هذه الزيارة إلى قلب " الشاعر " ، الأسقف كمارة ، ببضعة أسطر :

يا ليتنا لا نقبل فى أنفسنا نقطة من البفض !

---

(١) يذكر هذا الاسم الكروم المشهورة التى كانت سابقا تمتد على منحدرات هذا التلّ ، فى شمال العاصمة الشرقى . واليوم ، هى منطقة أغلب سكانها مهاجرون يعيشون فى أوضاع غير مستقرة فى البؤس .

يا نقطة الذهب!  
لو أمكننا أن نزلق نقطة من ذهب صرف ،  
من الذهب الصرف الذى هو الحب الحقيقى ، للبشرية  
وفى الحى ،  
نقطة من ذهب الحب لاختوتنا ا ...

ان هلدركمارة هو أيضا صديق اللجنة الكاثوليكية لمكافحة الجوع وخدمة  
التقدم ، التى تدعم مشاريع تقدم ونمو فى البرازيل .

فى يوم ١٧ مارس ١٩٧٩ وفى كنيسة سيدتنا العذراء ، فى باريس شن  
الأسقف حملة فترة الصوم الكبير التى تؤيدها اللجنة المذكورة ، أثناء القداس الذى  
أقامه مع الكاردينال مارتى ومائة كاهن من فرنسا والعالم الثالث .

وقريبا من كنيسة سيدتنا ( العذراء ) فى باريس ، ذهب الى Le Collège  
de France حيث دعاه الأستاذ جاك روفيه / Jacques Ruffié ليتكلم فى كلية  
علم الإنسان ، وبعد المحاضرة ، اصطحب الأستاذ هلدركمارة إلى مسقط رأسه ،  
أى إلى مدينة كاركسون . واستقبلوه هناك استقبالا فخما .. وظهر الخطيب بكل  
بساطة ، ليس راكبا سيارة بل سائرا على الأقدام ، على رأسه قبعة العمال ،  
وحول عنقه وشاح من صوف . رفع قبعته ليسلم على العمدة مثل الفلاح الذى يلتقى  
بنائب مجلس النواب فى سوق مقاطعته ... ( وكل هذه علامات البساطة والتواضع  
عند هذا الرجل العظيم ) . وعندما استقبله العمدة رسميا ، رغم اقراره بأنه لا أدري  
( أى ملحد تقريبا ) ، قدم زائره المشهور ، الأسقف كمارة ، كأئنه واحد من الأنبياء .

## لقاء مع بليوشتش في اذاعة " نداءات "

نحن مدينون لبرنار پيثو / Bernard Pivot بأهم نداء لهلدر كمارة والذي لم ينشر بعد ، رغم أنه كان يستحق ، كنداء ، مكانا خاصا جدا . كان الناشر نفسه ، Le Seuil ، قد أصدر في ربيع سنة ١٩٧٧ ، كتابي اعترافات نايعين من عالمين مختلفين ، هما : " ارتدادات أسقف " لهلدر كمارة و " في حفلات التاريخ التنكرية " لليونيد بليوشتش / Leonid Pliouchtch . في هذا الكتاب الأخير ، كان الرياضي الاشتراكي المشهور ، المنفى في فرنسا ، يقص ذكرياته كاشتراكي مسجون في مستشفى أمراض نفسية . - وضمن برنامج إذاعة يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٧٧ ، باسم " نداءات " وضع الناشر بينفو وجها لوجه رسول يسوع المسيح وتلميذ كارل ماركس .

وبالأمس يوم هذه الاذاعة ، أفضى رئيس الأساقفة إلى الصحفيين بذلك :  
" انى أسر بهذا اللقاء : رغم أن فلسفتنا مختلفة ، إننا متعاطشان بنفس العدالة  
ونفس الاهتمام بالدفاع عن الكرامة البشرية . انى أشعر بانى أخ لبليوشتش ،  
إلا انى غالبا أحسن بقربى من الملحدين : إذا أحبوا الانسان فهم يحبون الله دونما  
يدركون ذلك .

يوم الجمعة ، فى الساعة التاسعة والنصف مساء ، ظهر على شاشة هوائى  
التليفزيون رقم ٢ هلدر كمارة منشرا وبليوشتش رصينا ، مرسوما بالمحنة .  
وطلب الناشر بينفو بالتوالى أن يقص كل منهما مسيرته . ثم دعا الرفيقين أن  
يطرعا الأسئلة الواحد على الآخر .

قال هلدنر كمارة لهليوشتش : " عندي طلب أقدمه اليك أخوتنا ؛ انى أقابل  
ماركسيين غالباً جداً على طريقي ، ومما لا يسعنى أن أفهمه هو أن ماركسيين  
أذكفاء ، بدلا من أن يرددوا ما قاله ماركس ، لا يحاولون أن يعملوا ما كان  
مزمعا أن يفعله ماركس اليوم لو كان معنا . دعنى أعطيك مثلين واقعيين ...  
المثل الأول هو الرباط بين الديانة والاعتراب . قد وجد هذا الرباط حقاً ، وقد  
يوجد أيضاً بعد . ولكن اليوم فى المسيحية كما فى جميع الديانات ، توجد  
جماعات لا ترضى بأن تحى ديانة تؤدى إلى الاعتراب ، ولكنها تحاول أن تعيش  
ديانة تكون من الداخل قوة رجاء . لماذا لا نعرف بأن ديانة واعترابها لا يرتبطان  
ضرورة الواحدة بالآخر ؟ " وكذلك بالنسبة إلى الاشتراكية والمادية الجدلية ،  
فتبرهن الحقيقة أنه لا يوجد رباط ضرورى بينهما ، هناك اشتراكات تود ألا تكون  
مادية . "

فأجاب هليوشتش : " قرأت حديثاً كتاب ألبرت شفتزر / Albert Schweitzer :  
" ثقافة وأخلاق " . ان شفتزر جدلى ، وهو أيضاً على وجه ما مادى ، قد يكون  
للمسيحية علاقة مع هذه الحقائق : فالأهداف التى حددها ماركس للمجتمع قريبة  
جداً من الأهداف المسيحية . وأنا شخصياً ، بصفتى ماوكسياً ، أظن أن معنى  
الحوار هو أن يتحرك الانسان وينتقد نفسه دائماً ، وأن يتقدم . أما المادية ،  
فتقوم على المساعدة بطريقة عملية ، واقعية . ليس المقصود منها أن تعطى الناس  
طعاماً أكثر فأكثر ، وأن تمدهم بكسرة أفضل فأفضل . لا بد من أن الناس ينعمون  
شخصياتهم بصفة خاصة ويجعلون ملكاتهم الروحية تنشرح ، بدلا من أن يكافحوا  
لاحتياجاتهم المادية فحسب . "

بعد هذا الجواب استشار هلدرك كمارة بليوشتش في خطوة حديثة فقال : " تلقيت حديثا دعوة من اخواني الأرثوذكس المقيمين في موسكو لاشتراك معهم في اجتماعات " عن عمل ديني لسلام ثابت " . وكان جوابي " أتى لن أذهب إلى هذه الاجتماعات ، لأتّى لا أتمكن من الاقتناع بأن نحصل معا على حرية الجدل التي لا بدّ منها . فضلا عن ذلك ، أتّى لا أتكلم اللغة الروسية . "

فقال بليوشتش " أظنّ أنّ موقفك ليس سليما تماما . أجل نعلم أنّ الدستور الشيوعي ليس إلاّ حبرا على ورق ، ولكننا جعلنا من هذا الورق سلاحا في كفاحنا لصالح حقوق الإنسان . والحالة كذلك أيضا مع اتّفاقات هلزنسكى ، حيث يعدّ هذا الورق أيضا ركيزة نستخدمها . إذن ، عندما يدعونك ، لا بدّ من القبول ، واستعمال نفس كلام الذين يلتزمون حضورك معهم . إذا عرضوا أقوالا حسنة ، اقبل عرضهم تورا . قل لهم مثلا : " إنكم تؤكّدون أنّ الحوار بين الشيوعيين والمسيحيين قد بدأ . حسن ، لننظّم جدالا ينقله التليفزيون بين مسيحيين وماركسيين ، أنتم تقولون : إنّ القوى الرجعية تكذب ، مدّعية أنّه يوجد مستشفيات أمراض نفسية متخصصة . حسن ، دعونا نتحقّق من ذلك ، اسمعوا لنا أنّ نزور زوجة الراعى المهدداني جيل/ Gilses ، من كييف ، المسجون حاليا ، أو أنّ نتلاقى مع فريق الشبان الأرثوذكسيين الذين نظّموا ناديا في موسكو ، وأدخل اثنان منهم في مستشفى أمراض نفسية . وعليك أن تزور أيضا كهنة هدّدوا باعتقال ، مثل جليب يكوئين Gleb Yakounine . وبالاختصار ، يمكنك أن تقول : بما أنّ القوى الرجعية تكذب ، يمكننى أن أساعدكم على إعادة الحقيقة إلى نصابها . "

فاجاب كمارة : إتّى فهمت جيّدا ، ولكن دعنى أقول لك الحقيقة : لم يمكنك



أنت المكوث فى موسكو ، والتزمت أن تهجرها . إذن ، إذا ذهبت أنا إلى موسكو ، دون أن أتكلم اللغة الروسية ، سوف أكون بين أيدي التراجمة ، وسوف يمكن لوكالة الأنباء تاس أن تقول على لسانى ما تريد ... "

فى نهاية برنامج هذه الاذاعة ، طلب برنار بيفو من كل من مدعوّيه أن يجيبا عن السؤال الآتى : " ماذا تنتظر من المستقبل ؟ " فقال كمارة : " ما أرغب فيه هو أننا نحن ، الرجال أصحاب الارادة الحسنة فى العالم أجمع ، من كل العروق وكل الأديان ، نصل ، لا أقول أن نبنى الجنة على الأرض ، بل أن نخلق على الأقل عالما أكثر عدالة ، لأن بدون عدالة لن نحصل على السلام . وهذا ما يقربنى من هذا الصديق الذى يشاركنى نفس الاحترام لكرامة الانسان . "

وقال بليوشتش : " حالياً تتأهب بالأحرى أحداث فظيعة . ولكن كل شىء متعلق بنا . والمخطأ ليس هو خطأ الآخرين البعيدين فحسب ، هو أيضا خطأنا نحن الذين هنا . "

فاذا كافع كل منا من أجل مجتمع أفضل ، سوف نصل إلى نتيجة . وإلا قد تشبّ حرب نووية حرارية . إئى أشارك وجهة نظر شفتزور : " إن لم يمل ما نعرفه إلى التفاؤل سوف تضطر ارادتنا أن تقودنا إليه . "

وعرض بيفو سؤالاً على غير استعداد :

" إن شيئاً يدهشنى ، أيها الأسقف كمارة ، بشوبك الكهنوتى تقيم دعاية

للمطران لوفيفر / Lefebvre . وعليه ، قد تعرف فرنسا بأنك محافظ . "

" الفرق بيننا هو أن سيادته يتشبهت بعد بالمجمع التريدنتيني ، بينما أنا من الذين يفكرون منذ الآن في المجمع الثاتيكانى الثالث . "

" إن ملايين من المشاهدين ينظرون إليك . ماذا تريد أن تقول لهم بعد ؟ "

" سوف أقول إن فرنسا لها مسئولية رهيبه : إنها درست العالم الحرية . إذن ، يا ليتكم تظلمون في حالة الانذار ! "

### عبر فرنسا

تقع احدى جولات هلدركمارة المهمة في فرنسا في غرب هذا البلد من ١٥ إلى ٢٠ يونيو سنة ١٩٨٣ ، تحت اشراف الجريدة الأسبوعية La Vie .

أمضى النهار الأول في مدينة رين / Rennes ، حيث نزل من الطائرة ( بعد رجوعه من ستوكهلم إلى باريس في الصباح ) . وبعد الظهر ، ترأس ختام مجمع الأعضاء La vie montante بحضور ستة آلاف متقاعد ، " زملائه المستنئين الأعزاء " . في المساء وفي نفس قاعة الألعاب الرياضية وأمام أربعة آلاف شخص ، لفت النظر إلى العلاقة التي تربط البريتانيا / La Bretagne بالبرازيل ، في الساعة التي كان فيها كاهنان بريتانيان ، أريستيد كاميو / Aristide Camio وفرنسوا جوريو et François Gouriou ، مسجونين في برازيليا . " وكانت

جرمتهما مجرد مساعدة فلاحين مرهقين يدافعون عن أرضهم التي هي وسيلتهم الوحيدة للحياة . " ثم قرأت زوجة رجل شيلى منفى رسالة موجهة إلى الكاهنين تقول فيها : " إن البريتانيا فخورة بالكفاح الذى تقومون به . إنها تعتمد عليكما ، فاعتمدا عليها . "

وتتتابع الاجتماعات الأخرى مع عدة آلاف من المستمعين وخارج هذه الاجتماعات ، يقوم الأسقف كمارة بعدة اتصالات مع فئات من الناس ومع مناضلين . تقابل فى مقاطعة فرنسية مع ١٥٠ مزارعا ، وفى مدينة رين ألقى نظرة خاطفة على الفقر الجديد الذى اجتاح أوروبا القديمة : إن مندوب " المساعدة الكاثوليكية " يذكر له رقما : بين ٥١٦٦٦ شخصا استقبلتهم هذه المؤسسة فى فرنسا كان ٢٥٪ منهم لا يحصلون على شيء للحياة وفى مدينة لافال Laval ، أقام حوارا مع المسئولين عن خمسة عشر فريقا من العالم الثالث يجهلون بعضهم بعضا ، فيرحى إليهم بأن يجتمعوا معا ولو مرة فى السنة . وتقابل مع بحارة وشبيبة عمال وأعضاء جمعيات كاثوليكية ...

كان أحد أهداف سفره أن يذهب ليتأمل ضريح الأب لويس جوزيف لوبريه Louis-Joseph Lebret / الذى كان ضابطا فى الأسطول الحربى وأصبح فيما بعد راهبا دومينكانيا . أسس هيئة الشبيبة البحرية الكاثوليكية وأنشأ جريدة Economie et Humanisme وأوحى إلى حد كبير أفكار المنشور البابوى الخاص بترقية الشعوب . ولما كانت تربطه صداقة حميمة بالأسقف كمارة ، ساعده بخبرته فى المجمع المسكونى . فكان الأسقف يسميه " أميره البحرى " ويسمى نفسه " نوتيه الفتى " . أثناء القداس الذى احتفل به فى قرية عائلة الأب لوبريه ، ردده قارىء

كلمات هذا الأب التي كانت كوصيته وتتفق تماما مع أعمق مشاعر هلدنر كمارة ،  
واليكم هذه الكلمات :

" إنى أحببت الثلاثة سكييرين الذين عرفتهم فى قرىتى الصغيرة . أحببت هذه  
الجارة الفقيرة التى لم يكن لديها ملابس لتذهب بها لحضور القداس .. أحببت  
الألمان الذين كنا حديثا أغرقنا سفينتهم ... أحببت الصيادين الذين قضت عليهم  
آلية حرفتهم . أحببت سكان أكواخ مرسيليا وسود أكواخ ريو وهنود الغالية .  
أحببت الأغنياء الذين جعلتهم ثروتهم عبيدا ... كلهم بشر ، يؤساء ، ليس إلا  
شهادة المحبة التى يمكنها أن تخلصهم ... "

بعد رتبة القداس ذهب الأسقف يضع وردة حمراء على بلاطة ضريح صديقه  
الأب لوبريه . وذكر فى هذه اللحظة الأب كوزماوه / Cosmao ، مؤسس مركز  
لوبريه ، آخر عبارة لفظها البحار القديم : " جميلة هى الحياة . لا بد من أن نغامر  
طوالها من أجل الآخرين . "

فى شهر مايو سنة ١٩٨٥ ، كان هلدنر كمارة فى باريس ، فدعاه رئيس  
الجمهورية لندوة " المحربات وحقوق الانسان " . قابل هناك شخصيات من جميع  
القارات ، خاصة الذين حازوا على جائزة نوبل للسلام : مادره تريزة  
/ Madre Teresa ، وبيريز اسكيفيل / Perez Esquivel ، والمطران دسموند  
ترتو et Mgr. Desmond Tutu ... وقال فى هذه المناسبة : " قد بدأنا  
مفاوضات لنوع من جمعية عالمية لحقوق الانسان . "

وانتهز هذا السفر ليعرب عن اجلاله لاحدى ضحايا الظلم ، الأب أندريه چارلان / André Jarlan ، كاهن من الأفيرون / Aveyron اغتاله عساكر يوم ٤ سبتمبر ١٩٨٤ فى سانتياجو / Santiago ، أثناء مطالعته الكتاب المقدس ، فتوجه الى رينياق / Rignac مع الكردينال مارتى وعائلة الكاهن ليصلى على حجر قبر الفقيه تعلوه بلاطة من المرمر مرسله من الشيلى ومكتوب عليها : " أندريه ، لن ينساك أبدا شعب الفكتوريا . سوف تبقى دائما بين الفقراء ، أنت الذى اختار أن يموت من أجلهم ، مثل المسيح الذى مات من أجلنا . "

وسردت هذه الزيارة مجلة أسبوعية قائله : " كانت هذه الزيارة للأسقف كماره لحظة تأثر بالغ . فى المدفن ، أثناء لحظة ، ضاق نفسه من النحيب بينما كان يتوجه بالكلام الى الفقيه ، وكان فى الصباح قد علق على كلمة ترتوليانس / Tertullien : " دم الشهداء زريعة للمسيحيين . "

فى سنة ١٩٨٧ ، رجع حاجنا إلى فرنسا ، ورغم بلوغه سن الثامنة والسبعين ، فقد فاجأ مستمعيه " بنشاطه وروحه المرحة وسحر اشاراته الذى لا يقاوم ، وحماس حركته .. إلى حد أنه قلب المدياع . " هذا ما ذكرته *Peuple libre* ، مجلة أسبوعية كاثوليكية .

## الخطيب

علارة على الرسالة يوجد الرسول . يتكلم هدر كماره بكل شخصه : بعينيه ويديه وقلبه . ها هو آت ، رفيع وقصير القامة ، فى ثوبه الكهنوتى وملى

اللون ، عيناه محاطتان بزرقه من التعب ، وبغثة ينتصب هذا الشبح البشرى  
ويضطرم : تخرج من فمه كلمة من نار ، نار الانجيل ، تعززها حركات يديه ودفع  
ذراعه ، وسبأته مدفوعة نحو السماء التي يستشهد بها . وكما يقوله هو :  
" ائى لا أتكلّم إلا بلغة كعارة : بضع كلمات ، عدة حركات وكلّ قلبى " .

تهتّز مشاعر الجمهور لكلامه ، وتردّد بصوت واحد أغانى جون لبتلتن .  
وتنتهى السهرة أحيانا بالصلاة الربية يتلوها سلام الصلح الذى يتبادلّه المشتركون  
فى الاجتماع .

يكثّر الشباب بين مستمعيه : إنهم مولعون بالصراحة والجرأة والاعادة إلى  
بساط البحث ، يولد فيهم الخطيب التائر والحمية . إلا أن بعضهم ينطلقون باقين  
على جوعهم ، كانوا يتمنّون الحصول على ايضاحات عن الكفاح المزمع أن يقوموا  
به ، فضلا عن أن الأسقف كعارة ينصح الذين يعرضون أنفسهم للخدمة فى العالم  
الثالث قائلا : " لو لم تكن دعوة خاصّة ، امكثوا فى مكانكم لتساعدوا البلاد  
الفنية على ادراك واجبها نحو البلاد النامية والفقراء والمهاجرين الذين يعيشون  
بقرب من الأغنياء . "

ولكن ، فيما بعد يشعر هؤلاء الشباب بهمة ونشاط : أرقد هلدركعارة فيهم  
شعلة أو أحيائها . تشهد لنا بذلك فرانسواز / Françoise من مدينة ليل / Lille ،  
وعمرها ستّ عشرة سنة فتقول : " رجعت من الاجتماع معتقدة أنه لا ينفذ الى  
شئ . والفريب فى الأمر هو أنّى دهشت فى الغد عندما عرضت تلقائيا على  
مدرسة هذا العرض : " لى رغبة فى أن أنظّم اجتماعا لكلّ شباب المدينة الذين

يريدون أكثر عدالة في العالم . فأدرکت آنذاك أنني كنت ممتلئة من رسالة الأسقف  
كمارة . "

هكذا أمكن هذا الصوت الذي كان الطفغيان يريد أن يسكته أن يدوي عبر  
العالم . مثلما أمكن الرسل ، الذين طردوا من فلسطين ، أن ينشروا الخبر السار  
في كل الشرق الأدنى . أو ، في عصرنا ، مثل الرهبان والراهبات المطرودين من  
فرنسا في سنة ١٩٠٥ ، الذين مهدوا الطريق لرهباياتهم أن تنتشر وتنشئ فروعاً  
في قارات أخرى ، خاصة في أمريكا اللاتينية حيث قال لي بعض كهنة : " لا بد  
لنا من أن نقيم تمثالاً للأب كومب / Combes . "

هل تقام مسألة اكراما للقادة البرازيليين ؟





## الفصل الثامن

### العبيد الجدد

" القشة والرافدة " ... يعرف الأسقف هلدركمارة هذا المثل : عندما يندد بتعسفات العالم الفنى ، لا ينسى أن يحث الناس على توجيه امتحانهم إلى بلده بالذات .

يقول : " أننا فى البرازيل نخضع لاستعمار داخلى بسمح لجمعيات صغيرة ، لحفنة عائلات ، بأن تبنى ثروتها على بؤس ملايين من مواطنيهم . ولا تخلو الكنيسة من مسئولية فى هذه الحالة : كنا مهتمين بحماية النظام الاجتماعى الى حدّ أننا ، خلال مدة طويلة ، ظللنا مرتبطين بالسلطة وبالأغنياء ، وكان يتراءى لنا أنّ هذه كانت أفضل طريقة لجمع موارد لاعانة الفقراء . كنا نقول لهم : " اصبروا وحاولوا أن تطيعوا ، إنّ أحزان هذه الحياة لا تقارن بأفراح الأبدية . "

إنّ تواطؤ المسيحيين مع المظالم الهائلة التى تسحق الفقراء حملت كارل ماركس على التاكيد أنّ الدين هو " أفيون الشعب " ، بينما يجب أن يكون قوة محرره .

ان خطبتنا الاجتماعية الكبرى هي مأساة الأرض . هكذا ، ان البرازيل ،  
الذي يحظى بامتداد قارة ، ومساحته تضاهي ست عشرة مرة مساحة فرنسا ،  
مزود بأكبر ذخيرة للأراضي البكر القابلة للزراع في العالم . إلا أنه بلد الذين لا  
أرض لهم ، قثمانية في المائة فقط من سكانه يملكون أرضه . لأن امتلاك الأراضي  
واستثمارها اجتاحتنا ، وقد خصص كبار ملاك ومؤسّسات عالمية مساحات  
هائلة للإنتاج بهدف التصدير ، وليس لتغذية بلدنا الذي يضطر أن يستورد  
لاستهلاكه الخاص . هكذا ينمو زرع الصوغة الذي يصدر ليطعم العجول والخنازير  
والدجاج والكلاب والقطط في أمريكا وأوربا ، بينما كان ممكنا أن يعطى لبن  
الصوغة لجميع أطفال البرازيل . وتصلح مساحات أخرى لتربية الدواجن بطريقة  
مركّزة ، بهدف تصدير اللحوم . يقول الفلاح : " عندما يحضر الثور يغيب  
الانسان . "

يلجّ هيدر كمارة في أن هذا الاتجاه تأسل ويتزايد على يد نظام الحكم  
العسكري ، الذي ابتكر " مشاريع فرعونية " نظير الطريق المشهور الذي كان  
مزمعا أن يعبر الغابة البكر الشاسعة عبر الأمازون . ولكنهم عدلوا عن هذا  
المشروع أثناء تحقيقه ، وقد نما النبات اليوم وغطى نصف الطريق . وبنى العساكر  
أيضا سدودا عظيمة ، غمرت آلاف هكتار خصبة ، واتفقوا مع الحكومة الألمانية  
على برنامج لاقامة عشرة مراكز نووية . وفي جزيرة ساو لويس ، في شمال شرق  
البرازيل ، شيدوا مصنع ألومنيوم جبّارا يستهلك نصف طاقة دولة مارانهاو  
/ Maranhao الكهربائية ( وعدد سكان هذه الدولة مليونان ونصف ) ، بينما تنقص  
الكهرباء في المنشآت الصغيرة والمتوسطة ، وهي محدودة الاستهلاك في المنطقة .  
واستدانت الدولة لتمولّ هذه الأعمال باهظة التكاليف ، ثمّ ، لتخفّض دينها ، تمّت  
أكثر فأكثر زراعة المواد الصالحة للتصدير على حساب زراعة المأكولات . "

## القتلة المأجورون

إن الأراضى التى استولت عليها المؤسسات الكبيرة ليست خالية ، بل أنها تغذى فلاحين يعملون فيها جيلاً بعد جيل ، ولكن بدون سند ملكية قانونى . تأتى السلطات بأوراق رسمية وتطرد الفلاحين . هكذا طرحت جماهير من صغار الملاك ( ملاك ، ولكن بدون وثيقة ) ، وأصبح أعضاء هذه الجماهير ، زارعى الأرض ، يطوفون للبحث عن وسيلة للحياة .

" يلتحقون بالمدن ، أملين أن يجدوا فيها عملاً للأبوين ومدرسة للأطفال والشباب ومستشفى لمن يصيبه مرض ، ولكن خيبتهم مريعة . يجتاحون أراضاً شاغرة ، يبتون عليها أكواخاً ... يوجد فى مدينة فورتليزة حيث ولدت مائتان وأربعة عشر كوخاً ، وحتى هنا ليس الفلاحون فى أمان من الطرد ، لأن الحكومة تصمم خرائط لتنظيم مدن حتى تجلب السياح . فالفقراء يشتتون وينبدون دائماً إلى أبعد . "

ويصمد بعض الفلاحين ازاء اجتياح أرضهم ، وينظمون أمرهم ويطالبون بالاصلاح الزراعى ، ولكن كبار الملاك ومدبرى المؤسسات العالمية لا يترددون فى اللجوء الى أفظع الوسائل ليدافعوا عن مصالحهم .

قال رئيس الدولة نيفس / Neves ، بعد انتخابه سنة ١٩٨٥ ، : " إن مشكلة الأرض قد شرّبت دماً أرض البرازيل " ورفض اجتماع أساقفة البرازيل " استراتيجية ارهاب نظمتها أقلية من المتزودين بالمال ، المعارضين للاصلاح الزراعى . " وحسب

الحكومة ذاتها ، قتل مائتان وستة وثمانون شخصا فى نزاعات زراعية سنة ١٩٨٦ ، كان أغلبهم من الفلاحين أو من بعض مرشديهم : " فعندما كان يتقدم زعيم نقابى أو بالأحرى عندما كان شخص متمهّد باتّباع الانجيل يتولى حماية الاصلاح الزراعى ، كان يصاب بتهديدات وأحيانا بالموت . أجل ، لدينا شهداء كافحوا للعدالة . "

كان الغزاة يطوّعون رجالا مأجورين لحماية مصالحهم الاقتصادية وينظمون ميليشيات ، حيث يتلاقى أعضاء سرايا الموت مع رجال مأجورين آتين من فرق العصابات ، تفريهم علاوة التطوّع . ومثلما كانت الحال فى أل " Far West " فى القرن التاسع عشر ، كان هؤلاء الرجال المأجورون يفتالون فى وضع النهار ، فى صلب المدينة . هكذا فى يوم ١١ يونيو سنة ١٩٨٧ ، فى منطقة بيليم / Belem ، خرج من منزله مع زوجته وأولاده محام شابّ يبلغ من العمر ٣٨ سنة فوجد فى انتظاره شخصين ، فرغما رشاشهما الصغير عليه ، فوقع على الأرض مصابا فى الرأس بثلاث رصاصات قاتلة . - ولم يُرحم الكهنة : يشهد على ذلك ما حدث للأب تافاريس / Tavarès ، راهب يسوعى أسود وشابّ ، الذى قتل يوم ١٠ مايو سنة ١٩٨٦ . كان باعث النشاط فى رعائيات الأرض .

تجهل فرنسا تماما هذا النوع من الارهاب ، رغم أنّ وسائل الاعلام نشرت نبأ الأبوين كاميو وجوريو ، اللذين تضامن معهما الأسقف هلدري ، وكان هذان الكاهنان الفرنسيان ، اللذان يخدمان فى أبرشية الأراكخو / Aracaju فى المنطقة الأمازونية ، قد اعتقلا وسجنا يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٨١ : أخذت السلطات عليهما بأنهما جعلتا الفلاحين يدركون حقوقهم ، وحرّضاهم هكذا على مخالفة

القوانين واتهمتهما السلطات بالشيوعية ، وحتى تبرهن على ذلك ، فتش بعض رجال الشرطة مقرّ الأب كاميو وأبرزوا وثيقتين من وثائق الحزب الشيوعى البرازيلى ، كانوا قد أخفيهما من قبل بين أوراق هذا الكاهن ، أثارت دعواهما سندا شعبياً عظيماً واحتجاجاً حازماً من الأساقفة البرازيليين والفرنسيين وعونا من هيئات عديدة تطالب بحقوق الانسان ، مثل جمعية المسيحيين لالغاء التعذيب . ومع ذلك حكم على الأب أرستيد كاميو بخمس عشرة سنة في السجن وعلى الأب فرمسوا جوريو بعشر سنوات . وتوقف هذا الجزاء يوم ١٧ ديسمبر ١٩٨٣ مع الرجوع الى الديمقراطية .

### فشل الاصلاح الزراعى

أثارت نهاية الطفيان العسكرى ورجوع حكم العلمانيين أملاً حقيقياً : ألغيت القوانين التسلطية ومنح حق الانتخاب للأمين ، ، وعددهم هائل فى البرازيل .

وكانت أولى مهمة الحكومة الديمقراطية أن تزود البلد بدستور جديد ، وخاصة إذا تحقق هذا الاصلاح الزراعى المشهور ، الذى مازالوا يعدون بتحقيقه ، ولكنهم يرجئونه دائماً . كان يتوقع المشروع المسبق امكانية نزع ملكية ليس الأراضى غير المستغلة فحسب ، ولكن أيضاً كل الأراضى البور التى لا تمارس " وظيفة اجتماعية " أى التى لم تخضع للاصلاح الزراعى . ولكن رجال القوى المحافظة تحالفوا ضد هذا التنظيم . وقد تجمع كبار الملاك فى وحدة ديمقراطية ريفية رضعفوا على وسائل الاعلام .

وفى يوم ١١ يولية سنة ١٩٨٧ ، أتى أربعون ألفا من ماجوريهم يتظاهرون أمام قصر المؤتمر فى البرازيليا . حازوا مؤازرة برلمانيين ليدافعوا عن مصالحهم ، لأن كل نائب ( من مجلس النواب ) قد حصل على ثلاثين ألف توقيع ، كان يسمح له أن يقدم بنجاح تعديلات فى المشروعات الدستورية . ونجح أحد هذه التعديلات فى أن يسحب من النص الخاص بالملكية شرط " الوظيفة الاجتماعية " . أخيرا ، نجد الدستور الجديد المعلن يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٨٨ - والذي يشمل اجراءات ديمقراطية فى ميادين أخرى - ثبت ظلم الحالة الأرضية . فبدلا من امكان نزع ملكية مليونين وسبعمائة ألف مزرعة يسمح باستغلالها ، لم يترك إلا خمسمائة ألف فقط ... ويعلق هلدركمارة على هذه الأنباء قائلا : الملكية هى أكبر عقيدة لدى شعبنا البرازيلى الكاثوليكي . هى أهم من الثالوث الأقدس ومن تجسد الكلمة ، وأضحى أصعب لنا أن نحصل على تقسيم الأراضى بعدل من أن نلقى العبودية .

### تجارة الرقيق

وفى الواقع ، دوتت سنة ١٩٨٨ الذكرى المثوية لالغاء العبودية . وذكر الأسقف كمارة هذا التاريخ المؤلم الذى بدأ فى عصر اكتشافات البلاد المجهولة .

كان ملوك البرتغال وأسبانيا المسيحيون الغيورون يفكرون فى توسيع امبراطورياتهم ، وكذلك فى نشر اليمان . فكان المرسلون يرافقون البحارين . يا ليتنا لا نحكم على الماضى بنظريتنا الحديثة إلى الأمور . لعلى كنت فى أغلب الظن أحد هؤلاء المرسلين . فقد تصرف هؤلاء الأوربيون والبيض المسيحيون للأسف كما لو

يوجد البلد قبل حضورهم اليه . فبالنسبة لهم شرع البرازيل .. فى سنة ١٥٠٠ ،  
عندما اكتشفوه . أتوا وسحقوا ثقافات الأزتيك والمايا des Aztèques et des  
Mayas / . أما الهنود ، فكان لابد لهم من أن يقبلوا العبودية أو يهجروا وطنهم .

" بعد ما أزالوا الهنود ، ذهب المستعمرون إلى أفريقيا ليشتروا العبيد السود  
ويضعوهم فى خدمة اقتصادهم . وعند وصولهم هنا ، فصلوهم عن بعض :  
الأزواج عن زوجاتهم ، والأولاد عن أبويهم ، حتى لا يكونوا جماعات .  
وأصبحت حقول القصب ومناجم الذهب أو الفضة فى بلدنا " جحيم " هؤلاء الرجال  
والنساء ، المكويين بعلامة بالحديد المحمى ، والذين أصبحوا أشياء أسيادهم ...  
قد زالت العبودية الافريقية ، ولكن يوجد اليوم عبودية برازيلية . "

هل أبالغ ؟ فى كتاب " فلاحى البرازيل " ينقل أوليغيبه كولومبانى  
Olivier Colombani / هذه المعلومات : ان جريدة " دولة ساوياولو " يوم ٢٥  
أغسطس سنة ١٩٨٦ ، تخصى ٥٥ كوخا موزعة فى كل البلد ، حيث ٦٧١٣  
عاملا وبنيا برازيليا قد وصلوا إلى أقصى حد العبودية . لا مذلة تنقصهم ولا  
السجون ولا الضرب ولا العقوبات الجسمانية ، ولا القتل للذين يحاولون الهرب  
فيجندلون كالأرانب . - إن التطوير وحده حديث العهد ، ولا يبحث بعد عن خشب  
الأنوس على ضفاف خليج غينيا ، ولكن كان المستعمرون يفتشون الفلاحين  
ويقدمون لهم صور مدن كبيرة لأمزونيين غير حقيقية لأنها ليست إلا نماذج ،  
ويعدونهم بمكان فى الفردوس . هكذا حصل مقال من ساوياولو على ثلاث مائة  
عبد للملكية العقارية فى روندونيا / Rondonia .

كان دائما لتحرير جماهير الفلاحين وقع في قلب الأسقف كمارة ، ولما لم يمكنه الاعتماد على السلطات العامة ، اعتمد على تكوين الفلاحين ليحملهم على أخذ مصيرهم على عاتقهم . لم تقض سنة على وصوله إلى ريسيف في سنة ١٩٦٥ حتى أسس العمل الكاثوليكي الريفي ، بمساعدة كاهن فرنسي ، هو الأب جوزيف سيرفا / Joseph Servat ، الآتي من أبرشية بامبييه Pamiers . واشترك هلدركمارة عملياً في تأسيس لجنة رعائيات الأرض التي تحاول أن تضع في خدمة الملاك الصغار الذين لا سند ولا وثيقة لهم مساعدة فنيين ومحامين وامكانيات مالية ليدافعوا عن أرضهم .

عهد رئيس الأساقفة هلدركمارة بمسئولية هذه الرعائيات ، لنصف منطقة شمال شرق البرازيل ، إلى علماني ، والد ثمانية أبناء يدعى پاولو كريسبو / Paulo Crespo . حاول پاولو أن ينشئ مبادرات بسيطة جداً ، اليكم مثل نموذجي منها هو مركز التكوين الريفي الذي أنشئ في بسكويرة / Pesqueira ، على بعد ٢٣٠ كيلومترا من غرب ريسيف . لاشك في أن هلدركمارة مفعم بروح التربية والتكوين ا

### عبر منطقة شمال شرق البرازيل

الساعة السابعة صباحا ، والشمس الطالعة تورد الأفق . - يقول أحد أصدقاء هلدركمارة " تركت ريسيف تحت قيادة پاولو كريسبو . وبعد قليل ، رأينا تلالا قد ارتسمت جانبياً ، مغطاة بالخضرة ، بهراعم القصب . "



قال لى پاولو : " قد كرست الحكومة هذه الاراضى الحمراء الخصبة لتنمية إنتاج كحول القصب للسيارات : انه نجاح فنى ولكنه كارثة اجتماعية . كان لاهد من هذا الانتاج نظرا لأزمة النفط ، وقد استولت مصانع كبيرة على الأرض بدلا من أن تقسمها وتترك منها قطعا لزراعة المواد الغذائية . حقا ، إن قانونا يعترف للفلاحين بحق زرع هكتارين لمعيشتهم ، ولكن القانون لا يطبق . فيلجأ الفلاحون إلى إقامة دعاوى ، ولكن كبار الملاك لا يأخذون هذه القضايا بعين الاعتبار ، فهم أحيانا يستعينون بقتلة مأجورين . " وعندئذ ذكر پاولو اغتيال محام شجاع كان يدافع عن فلاحى المنطقة ، يدعى فاندرو بيريره / Vendro Pereira ، له من العمر ٣٦ سنة . وقد قُتل - مثل پاولو فونتيل / Paulo Fontelles ، المذكور سابقا - تحت نظر زوجته وأولاده . " وبينما يُترك القتلة أحرارا عادة ، فى هذه المرة قُبض على القاتلين ، بفضل حاكم پرنامبوك ، ميخيل أرائيس / Miguel Araes ، المنتخب فى شهر مارس سنة ١٩٨٧ . واعترف القاتلان أنهما قتلا مقابل مبلغ يعادل أربعة آلاف فرنك . "

بعد مضى ساعة فى الطريق ، يتغير المنظر : تصبح المسيرة أكثر تموجا ويقل وهج الشمس : انتقلنا الى منطقة متوسطة بين الساحل المزروع بالسكر والصحراء . وكانت الخضرة تسود هنا حينذاك ، ولكن بدون ثمار ، لأن المطر وصل متأخرا ، وها هو الجفاف الأخضر . غير أن المنطقة تحوى نباتا نوعيا يصمد فى حرارة الشمس ويعطى أربعين كيلوجراما من الطعام للحيوانات فى السنة ، ونوعا آخر للانسان تذرقنا ، أثناء استراحة ، عينات منه ريانة وعذبة . وابتعدنا قليلا لتعبر قرية تعيش على الصناعة اليدوية : تجسم فيها كل عائلة أشياء وأشخاصا وحيوانات ريفية بالصلصال : هو فن شعبي يأتى آلاف من السياح ينظرون إليه باعجاب .

دوفا يكون هذا المكان محروما بصفة خاصة ، إن هذه المنطقة المتوسطة بين الساحل المزروع بالسكر والصحراء جزء من شمال شرق البرازيل ، هذا الذي يسمونه الجغرافيون " مثلث العطش " أو " مربع الجوع " .

يفسر باولو كريسبو : " يقال إن هذا البيؤس نتيجة الجفاف ، ولاشك في أن الجفاف يزيد سوء الحالة . ولكن المسئول الأساسى هو السياسة . لأنها تؤدى إلى استعمار شمال شرق البرازيل على يد مركزه وجنوبه . ومشكلتنا الأولى هي الماء . والحال أن برازيليا وظفت أكثر بكثير لرى الجنوب الذى كان أقل احتياجا مما فعلت لصالحنا . هنا ، الأرض حسنة والشمس تسطع اثنتى عشرة ساعة يوميا . ويمكننا بالماء أن نعطي بثلاثة محاصيل فى السنة ، مركزة على منتجات مكيفة مثل نوع من الذرة والفاصولية ، اللذين يصمدان أمام الجفاف - عندما أدركت هذه الامكانيات إن رعائيات الأرض أرادت أن تحسن الانتاج على أبسط مستوى . هكذا أسسنا مركز التربية الريفية فى بسكويرة حيث يتكون فلاحون ، مندوبون من الجماعات الأساسية ، ويشاركون بهاراتهم فيما بعد مع غيرهم .

### الحياة على هكتارين

يظهر لنا معهد بسكويرة الاكلييركى القديم بالمظهر الآتى : بعض أشجار جوز الهند ، حيطان مغطاة بقرميد أحمر وقبة الجرس . البيت خال : قد انتهت فيه تروا دورة استغرقت ستة أشهر .

هنا ينسى المتدرِّبون على الزراعة الحديثة الكيماريّة ليكتشفوا الزراعة العضويّة ، ونتائج هذا الاكتشاف تحت أعيننا : يفوض مرّبع صغير بالجزر واللّفت والبنجر وطيب الزاد / ciboulette والخضروات ... وفي الجملة يوجد ٣٢ نوعا مزروعا على قطعة أرض مساحتها ٦٠ مترا مرّعا . يصل الحصاد إلى كيلوجرام ونصف في اليوم ، وتنظم دورة الغلات بصفة أنّها تقدّم للأنتظار خضرة طوال الشّناء ، وتوزيع الزرع على سطوح صغيرة تقيّد التآكل ، وغطاء من أوراق ذابلة على الأرض يكبح التبخر .

وقد نظم الانتاج الحيواني تنظيما علميا : يطعم الدجاج فضلات المطبخ ، وترمى فضلات الدجاج إلى الخنازير ويراز الخنازير بسيل في بركة الأسماك حيث سمك النيل يتراعى بسعادته العاديّة في نيله الأصلي .

يقول پاولو : إنّ حدود ملكيتنا هكتاران ونصف ، وقد يحصل فلاح على إنتاج مماثل لانتاجها ، فيمكنه أن يعيش منه . - نجدّه هكذا: روابطنا مع هنود البيرو والشيلي / du Pérou et du Chili ، وطريقتنا هي أيضا طريقة الصينيين من ألف سنة الذين يعيشون على هكتار أو هكتارين .

وعلى غرار الأقدمين ، أنّ متدرّسي بسكوية يزرعون نباتات طبيّة مختبرة ، بعضها للهضم وأخرى للسكّر . وأثناء كلّ دورة يقدم المتدرّبون أنواعا جديدة من الزرع . " نحاول أن ننقل علم الفلاحين الذي تعرضه للاضمحلال منتجات المؤسسات الرأسماليّة الكيماريّة .

## سند اللجنة الكاثوليكية ضد الجوع ولصالح التنمية

ذهبنا لنحيي الذي سمح بوجود هذه المؤسسة أى بتقديم معهد الاكليريكي لذلك ، وهو سيادة المطران ميخيل بلميره / Miguel Palmeira ، أسقف الأبرشية . فقال لنا سيادته : " لم أفعل أكثر من أنى طبقت تعاليم المجمع الفاتيكاني الثانى . " - يجب أن نشجع ترقية الانسان ، أى أن نعلم فلاحنا البسيط أن يعيش فى شمال شرق البرازيل ، لأنه اذا أعطيناه قطعة أرض لا يعرف أن يزرعها ، سوف يذهب إلى المدينة ، وهذا يزيد عدد سكان الأكواخ . فلابد من اقناعه أن قطعة أرض جديدة بأن تعيشه .

إن المركز يحظى بمساعدة اللجنة الكاثوليكية ضد الجوع ولصالح التنمية ، الذى يتهمه البعض فى فرنسا أنه يشجع الشيوعية . يحتج المطران بقوله : " أكدوا أن هذه المؤسسة ، بعيدا عن أن تشجع محاولة لقلب نظام الحكم ، هى أفضل وسيلة لتفادى هذا التدمير ، لأنها فى خدمة الفقراء ، وأن الكنيسة تسندها وليس حزب سياسى . "

يظهر هذا التحقيق صغيرا جدا مثل نقطة ماء فى محيط البؤس . ولكن ، كما ينوه كريسبو : " تشرع حكومة برنامبوك فى مشاريع مماثلة ، وقد طلبت منا أن نمرن عمالها الفتيين . أنهم مطلعون أكثر منا ، ولكنهم يجهلون لغة الفلاحين البسيطة وعدة خبراتهم بالأعمال وامكانات زرعهم الأحيائي . "

إن پارلو كريسبو ، الذى له أجداد هنود واحتفظ ببعض مفاهيم هندية ، قال

لى فى شبه مجاهرة بىادىء : " الأرض أمنا ، ونحن خرجنا من أحشائها وسوف نرجع إليها . وهى كائن حى ، يحوى ملايين من أجسام صغيرة . هى هبة من الله ، ليس للمال ولكن للإنسان . ليس لنستولى عليها ولكن لنقتسمها . "

هكذا ، بالرغم من القوى المعبأة ضده ، يتقدم الإصلاح الزراعى فى الأذهان ، وقد بدأ زرعه على الأرض دونما يحدث صوتا ودونما يفضب أحدا .



## الفصل التاسع

### سلاح المسالمة

" رسول المسالمة " : إنه لقب يمنح بطبيب خاطر للأسقف هلدر كمارة .

يقولُ الأسقف : " لا أظنُّ أنه في زمن ما بدأت أومن بالمسالمة ، بل كانت طريقتي في تأويل الإنجيل دائما . ولكني لا أحبُّ كلمة المسالمة ، أفضل بكثير عليها عبارة روجيه شوتس : " عنف المسالمين " أو أي وصف يميّزها من السلبية . كيف يعرض شباب عن العنف المسلح إن لم يقدم لهم شيء قويّ وفعال كموضوع اختيار ؟ المسالمة هي الايمان ، ليس خاصّة بقوة الحقد والأسلحة ، بل بقوة الحقيقة والمحبة . وقد تحدّث القديس بولس عن هذه القوة في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ . إنَّ أسلحة كفاحنا ليست دنيويّة ، ولكن يمكنها ، بقوة الله ، أن تقلب القلاع . يوجد في رسالة المسيح طاقات نوويّة راقدة . "

حسب فكر هلدر كمارة ، إنَّ هذا الكفاح المسالم أصعب وأطول من الكفاح المسلح ، ولكنّه أخيرا أكثر فاعليّة . فهو الذي سمح لكفاح غاندى وملايين من الفقراء في الهند بأن يرتقوا إلى الاستقلال . وحصل به القس كنج على الغاء عدّة

العبودية . المسيح أكبر ثورى طوال الأزمنة ، ومع ذلك لم يسفك دما الأدمه .  
ولو أتى إلى أمريكا اللاتينية لما أمسك بالرشاش بل تسلح بسلاح التطويبات .

ولكن الأسقف هلدر كمارة يرفض أن يرمى بحجر ويتهم الذين ، بدمه ،  
يضعون ثقتهم فى وسائل مسلحة ليقاتلوا ضدّ الظلم والطغيان . " ائى أحترمهم  
خاصة إن لم يحاربوا لعرض عضلاتهم بل خاطروا بحياتهم . ولكن ليس هذا ما  
أختاره ، لائى أفضل ألف مرة أن أقتل بدلا من أن أقتل . "

### خطّ العنف اللولبى

يدعم هلدر كمارة عقائده العميقة بالتفكير ، وهذا ما يعرضه فى كتابه :  
" خطّ العنف اللولبى " . يميّز ثلاثة أنواع من العنف تسبّب بعضها بعضا : العنف  
رقم ١ هو الظلم المركز ، كظلم الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية التى تجور على  
شعوب كاملة مثل الحاصل فى أمريكا اللاتينية . عند عودته من رحلة فى هذه  
القارة حيث كان ضيف هلدر كمارة فى سنة ١٩٦٤ ، كان المطران أنسيل / Ancel ،  
رئيس البرادو ، يقول : " تخيّل لى ائى أطالع نقد كارل ماركس على الرأسمالية  
حينما رأيت استغلال الانسان الذى يواصل عمله بفقد وعى تامّ ، مثلما كانت الحال  
فى أخطّ أزمنة القرن التاسع عشر . "

ازاء حالات مثل هذه ، من السهل أن يرغب الانسان فى التخلص منها  
بالسلاح ، مقابلا هذا العنف رقم ١ بالعنف رقم ٢ . وهى وسيلة وهمية ، لأنّ



السلطات تريد حينذاك أن تعيد النظام العام إلى نصابه ، حتى باللجوء إلى الوسائل العنيفة . وهذا هو العنف رقم ٣ .

يقول هلدنر كمارة : غالبا ، عندما كان شبان يأتون إلى ، مقتنعين بفاعلية العنف ، كنت أضطر أن أقوم ببرهنة تامة مستعينا بورقة وقلم : " يا أصدقائي ، لنفرض أنكم تكونون جماعة وتناهبون لأخذ بنك عنوة ليمكنكم أن تشتروا أسلحة . أولاً ، عند وصولكم إلى البنك تخاطرون بأن تُقتلوا أو بأن تقتلوا موظفا بسيطا يعمل في البنك ليكسب حياته ولا علاقة له بنظامها . ولكن لنسلم بأنكم تنجحون في عملكم . وبعد ؟ كم بندقية ومسدس ورشاش صغير وخرطوشة سوف يمكنكم شراؤها بهذا المبلغ ؟ وماذا ستكون قيمة هذه الأسلحة أزاء عظمة وسائل السلطة القائمة العسكرية وأزاء وزارة الدفاع الأمريكية التي تسنها ؟

وكان الشبان يذكرون حينذاك مثل كوبا ، وهذا صح . قد حرر فيدل كاسترو بلاده من طغيان باتستا . ولكن عندما اختار حرب الأدغال ، لم تكن الولايات المتحدة مستعدة لهذا النمط من القتال ، فحرب العصابات . ولكن ، منذ ذلك الزمن ، ساعدت الولايات الأمريكية جيوش أمريكا اللاتينية على تكوين وحدات متخصصة في الصراع ضد حرب العصابات . أضيف أنني لم أحلم قط بالحل الكوبي ، لأنه ليس تغيير مدار محرراً حقيقياً ، أعني أن يصبح المرء تابعا للوحدة السوفييتية بعدما كان تابعا للولايات المتحدة . "

كان الشبان يذكرون للأسقف هلدنر خبر محاريين في حرب العصابات حصلوا على هالة البطولة : شيه چيثارا وكاملو توريس / Guevara et Camilo Torres .

في الواقع ، زنتهما ضحياً بالحياة لتحرير شعبهما . ولكن الأسلحة التي اختارها لم تكن مطابقة للهدف الذي يسعيان اليه . أحدهما ، طبيب أرجنتيني سابقاً ، وأصبح ثورياً متجولاً ، كان يهيم من دغل إلى دغل ليفذئ النار وهو يردد : لا بد من أن يكون الحقد محرك الصراع ، الحقد غير المتساهل الذي يدفع الكائن البشري إلى أبعد من حدوده الطبيعية ويحوكه إلى آلة للقتل . " والثاني ، الأب كاملو توريس ، كان يشعر شعوراً حاداً بظلم النظام القائم في كولومبيا ( واحد في المائة من الملاك مستول على ثمانين في المائة من الأراضى . كان مقتنعاً أن حكم قلة أنفار - وكان هو من أبناء هذه القلة - لن يطلق أبدا امتيازاته الأمتحت تهديد الرشاشات .

يقول هلدركمارة : " كنت قابلته في أغسطس سنة ١٩٦٣ في بوغوتا . كان حينذاك مدرساً في جامعة سان مارك ، معبوداً من طلابه ومحبوها من الشعب في كل البلد .

بعد فوات الأوان ، فكّرت في أنه بالنفوذ الذي كان يحظى به هذا الكاهن ، لو كان قد عرف الصراع المسالم وجعل نفسه البطل المدافع عنه ، لأمكنه أن يحرك قوة ثورية مسالمة . ولكن عندما كلمه أحد أصدقائه عن العمل المسالم كان الأوان قد فات . وكان رئيس الأساقفة هلدركمارة قد قطع كل علاقة معه . وكان يبكى بكاء مرّاً ، لأن المسئولين حرموه من الانفخارستيا ، وأصبح مضطراً إلى أن يغير كل ليلة مقره ( إذ إن يد حكم القلة السوداء كانت تهدده ) وانتهى الأمر يوماً " بالسيد توريس " كما كان بعض أساقفة قد تصنعوا في تسميته ، إلى أن يلتحق بالدغل في الجبل .

كان شيه چيفارا وكاملو توريس يأملان أن الفلاحين يتبعونها . ويقول  
الأسقف كمارة : كان خطأهما أنهما نسيا أن كتلة من الناس لا تكون شعباً بعد ،  
لأنه ، حتى أن كتلة تصبح شعباً ، لا يبدؤ أولاً من عمل توعية طويل وصبور . كان  
أغلب شعب أمريكا اللاتينية يعيشون في حالات أخطأ من الاتسائية ، وبما أنه  
كانت تنقصهم أسباب تربطهم بالحياة لم تكن لهم أسباب تدفعهم إلى الموت . - في  
كولومبيا استمر العنف . ولا تزال حرب العصابات تقارم السلطات المحلية ، ولكن  
دوماً تصل قطاً إلى أهدافها الثورية .

مثال يقتدى به ، هو مارتن لوثر كنج

لا يكفي أن نقول " لا " للثورة المسلحة ، لا يبدؤ من اصلاحات عميقة ، ولكن  
بطرق أخرى . كان هلدر كمارة يحلم بحركة واسعة تمارس سلطة أدبية محررة ،  
على الآراء العامة ، على الحكومات . في نهاية المجمع القاتيكاني الثاني ، في  
روما ، يوم أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ ، خلال مؤتمر صحفي ، كان الأسقف كمارة  
يعرض ما يتمنى أن تكون ، حسب رأيه ، نتيجة المجمع : " أن نتسائل ، حسب  
توجيهات المجمع عن الحرب والسلام ، إذا لم يكن مناسباً أن نقيم عملاً مسالماً في  
البلاد النامية ، خاصة في أمريكا اللاتينية .

درس المشروع دراسة وأقية . وفي يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٦٦ ، في  
سلفادور باهيا ، دعى هلدر كمارة إلى لجنة الأمم المتحدة لأمريكا اللاتينية  
وأعلن : " يحسن فوراً أن تقام حملة عالمية لالغاء العبودية المالية ، حتى يتم

استقلال الشعب السياسى باستقلال اقتصادى سهل المنال ، ليس فقط لبعض طبقات متمتعة بامتيازات ، بل لجميع البشر . " وفى جامعة برينستون Princeton ، يوم ١٠ فبراير ١٩٦٧ ، كان يقول : " المسألة الهامة هى أن نعرف اذا كانت الثورة الاجتماعية التى يحتاج اليها العالم سوف تكون عملاً تريبياً أو سوف تضطر أن تمرّ بالعنف . "

والمثال الذى يقتدى به الأسقف كمارة هو مارتن لوثر كنج . فىقول : " أرجو أن أقابله وسوف أقول له : " يا صاح ، لك شهرة عالمية ، وقد أتت الساعة لتوسيع عملك . فبينما تتابع دفاعك عن حقوق السود ، أدخل فى الصراع لصالح التنمية . "

داخل هذا العمل ، يلح هلدركمارة فى أهمية الجذور الروحية ، على غرار القس الأسود الذى يطلب من مناضليه أن يعتنقوا دستوراً مكوناً من عشر وصايا ، هى : أن تأمل كل يوم فى كلام يسوع وحياته .. أن أتذكر أن الحركة المسالمة تهدف ليس إلى العنف بل إلى المصالحة والعدالة .. أن أحافظ فى تصرفى على موقف محبة ، لأن الله محبة .. أن أتجنب كل عنف بقبضة اليد ، باللسان أو بالقلب ... وشرح الأسقف كمارة قائلاً : " علينا ألا ننسى أن بداية البدايات هى التحرر الباطنى : كيف يمكن من هو عبد لذاته أن يحرر الآخرين ؟ "

وقد اغتيل كنج يوم ٤ مايو سنة ١٩٦٨ ويدرك هلدركمارة اليوم ، أكثر من أى وقت مضى ، أنه محمول على الأخذ ثانية بمشعل المسالمة الفعالة ، ويقول أمام جمهور من السود : " لا تظنوا أن زعيمكم الكبير ، شرف قومكم ، قد فشل لأنه

قتل . كان المسيح يوم الجمعة الحزينة ، فى الظاهر ، مثل أفطع فشل . إلا أنه ، بعد أقل من ثلاثة أيام ، قد قام من بين الأموات ... ومارتن لوثر كنج ، أبعد من القبر ، هو الآن رمز . كان زعيما وأصبح بطلا ، شهيدا ، علما . كان بخصمكم ، والآن هو بخصم الانسانية جمعا . "

### عمل العدالة والسلام

ويكرر هلدنر كمارة : " شرط العمل المسبق هو " التوعية " : اقامة تغيير العقليات ، نوع من الثورة الثقافية ، خاصة عند الأساقفة . فى شهر يوليو سنة ١٩٦٨ ، فى اجتماع هيئة الأساقفة الدولى ، حث على تبني اسم لمشروعه وسمّاه : " سلطة أدبية محررة " . إلى جانب ذلك ، عرض نصّ تعهد وقّعه ٤٣ أسقفا من ٢٥٣ : " بما أن محبة الله والقريب تدفعنا ، ونريد أن نتعاون لتحرير ملايين من أبناء الله الذين فى بلدنا وعلى قارتنا ، يعيشون على هامش الحياة الاقتصادية والثقافية والفنية والسياسية والاجتماعية والدينية ، ونشعر بأنه ليس الأ عمل جرى ، ومنسّق سرف يعطى كثافة عملية لوثائق مثل " الكنيسة فى العالم المعاصر " و " فى تقدّم الشعوب وارتقائها " ، فنتمهّد أن نشجّع إلى أقصى حدّ السلطة الأدبية المحررة ... "

سوف يكون ريسيف مقرّ الحركة التى تغيّر اسمها بعد قليل وأصبح : " عمل العدالة والسلام " ، لأنّ السلطة الأدبية تشبه كثيرا إعادة التسليح الأدبى . ووقع اختيار تاريخ الترويج للمشروع على يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٨ ، اليوم الذى يمشير

معا إلي ذكرى ولادة غاندى وبداية السنة الغانديّة التي نظمت لذكراه السنويّة .

ومساء يوم ٢ أكتوبر ، تدفّق آلاف من المؤيدين في فناء مدرسة ساو خوسيه في ريسيف ، وعلت هذا الجمهور لافتات معبرة تقول : نرفض العنف القائم ، نريد ثورة مسالمة ... نطالب بالاصلاح الزراعى ... نقاوم الردع البوليسى ... و " على شرفة ، تناوت فرقة مسرحيّة ومغنون شعبيون وأجواق متكلمة .. للتنديد بالظلم والطفيان والبؤس . " فمن مائة عائلة برازيلية ، لا يحصل سبعون حتى على الأجر الأدنى .. وبين الذين يحصلون عليه كثير لا يصلهم الأجر إلا على قطعة من الورق ... كثير من المسئولين يهتمون أولا بالمحافظة على النظام ولا يرون أنهم في الواقع يحافظون على الفوضى . ملكية خاصة ، نعم ، ولكن ليس ملكية تؤول إلى الحرمان ... " واستعرضت هكذا كل أفكار الأسقف كمارة .

ثم أخذ الأسقف بدوره المدياع : ملأ الفضاء صوته الحار ، الحماسي . ولما كان يفكر في الذين يظنون أن تغيير الأنظمة بدون عنف مسلح محال ، أطلق هذه الدعوة : " تذكروا ما حصل منذ جيل ، يوم ١٣ مايو سنة ١٨٨٨ : كان كل شيء في يد أصحاب العبيد : السلطة والمال والصحافة . ومع ذلك ، وجد شبان يلاهم مثل أعلى ، قد ألهبوا العقول والقلوب بدون عنف ولا قتل ، وسببوا الفوز للحق والعدل . فلنكمل هذا اليوم ، يوم ١٣ مايو ، الذى حظى برؤية الغاء العبودية الافريقية ، ونحرر عبيدنا القوميين الحاليين ! "

ويلع هلدنر كمارة قائلا : " لا تكفى الاصلاحات السطحية . إن كثيرا من حكومات أمريكا اللاتينية ، أحيانا بدون علم وبدون ارادة ، تحضّر أقطع القنابل ،

أفزع من القنبلة " ألف " ، القنبلة " ب " ، قنبلة اليؤس .

يحضّر القنبلة " ب " الذين يخشون ادراك الجماهير أو الذين يحاولون أن يمنعوا هذا الادراك تحت اتهام الجماهير بقلب نظام الحكم وبالشيوعية .

ويحضّر القنبلة " ب " الذين يحاولون أن يقمعوا بالقوة احتجاج الشبان والعمال ، وحتى احتجاج الكنيسة ، بقدر ما هي مضطرة أن تعبر صوتها لمن لا يمكنهم الكلام .

ليست الحركة التي ظهرت اليوم لأول مرة حركة مكيفة وسلسة ، لأنّ الله يتقبّل الفاترين . تريد هذه الحركة ، بنعمة الله ، عنف المسالمين .

هل سنكون عاجزين أمام الحيطان القديمة التي لاهدّ من أن تهدم ؟ تذكرنا الصراع بين داود وجليات . من كان يتردّد أن يشارط أن هذا الراعى الصغير سوف يسحق بيد الجبار ؟ ومع ذلك ، هزم داود جليات بمقلاع وخمس حصي . أمّا خمس حصينا نحن فهي الايمان بالله والثقة فى الحق والثقة فى العدل والثقة فى الخير والثقة فى المحبة . "

كان يتراعى أن فصلا جديدا يفتح فى تاريخ المسالمة ، ولكنه سوف يفلق سريعا . لأنّ بعد شهرين ، يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، نشرت الحكومة العسكرية العمل المؤسسى رقم ٥ : وكان عمل تصلّب الطفيان . فأكثر من كل وقت مضى كان من يتكلم عن عدل وحرية يشتمه فيه ، فيعتقل ويعذب أو ينفى . وها قد

كبحت في الحقيقة حركة المسالمة : كان ينقص هذه الحركة صلابة وأهداف واقعية  
وعقيدة مهيبة وشبكة لتكوين مناضلين .

سوف يستمر هلدنر كمارة في بذر حبوب مسالمة في أرض مسقط رأسه وعبر  
العالم . في سنة ١٩٧٠ ، حظى في ريسيف بزيارة القس رالف ابرنتسى  
Ralph Abernathy / ، خلف القس كنج ، الذي دعاه إلى الولايات المتحدة  
للحصول على جائزة مارتن لوثر كنج . يمنح هذا الامتياز كل سنة لشخصية بطرق  
مسالمة في قضية العدل والسلام . وحصل رئيس الأساقفة على هذه الجائزة في  
أتلانتا / Atlanta ، المدينة التي ولد فيها القس كنج ودفن . تأمل طويلا على  
القبر الذي حفرت عليه في المرمر كلمات أب العبيد السود الروحي ، والتي كان  
هذا الزعيم قد ذكرها مرارا :

أخيرا حرًا

لنشكر الله القدير

أخيرا أنا حرّ .

أثناء خطبته في أتلانتا ، نوه الأسقف كمارة بأن ينظم تقابل عالمي لزعماء  
الحركات المسالمة ، وفي الواقع ، سوف تنظم ثلاثة اجتماعات ، يشترك فيها ،  
في أسترهوت / Asterhout في هولاندا ، في لندنديري / Londonderry في  
ارلاندا الشمالية وفي ناسونيو / Nassogne في بلجيكا . - في لندنديري ، سعد  
بمقابلة العميد دي بولردبير / de Bollardièr الذي أفضى إليه : " اكتشفت  
المسالمة شيئًا فشيئًا ، للأسف خلال خبرة الحرب ، وأمضيت وقتًا طويلا لأدرك  
كيف يمكن للمسالين أن يبرهنوا على فاعليتهم في نزاعات العالم . "



توجّه أيضا الأسقف هلدر إلى آل هوري - نوبل / Borie-Noble ، جماعة " الأرش الأم " التابعة للاتزة دي فاستو / Lanza del Vasto . كان قد قابل قبل ذلك رفاق " الأرش " أثناء المجمع القاتيكاني ، وقد رتب أولئك معرضا عن المسألة ، وكان بعضهم قد صاموا ليُلفتوا نظر الأساقفة إلى هذا النمط من العمل الذي سوف يقول عنه في النهاية المجمع القاتيكاني الثاني ، : " لا يمكننا إلا أن نمدح الذين يعرضون عن العنف لحماية الحقوق ويلجأون إلى أسباب دفاع هي ، فضلا عن ذلك ، في متناول أضعف الأشخاص . "

### قوة الضعفاء

سئل هلدر كمارة عن فاعلية العمل المسالم ، وما هو ما قاله في كتابه : " أسئلة للحياة " . تسرد دائما كتب التاريخ قصص الحروب والثورات العنيفة ، وكان يجدر بها أن تسرد تاريخ الشعوب التي عرفت كيف تقاوم طغيانا بدون عنف. هكذا حصل الشعب المجرى في القرن السابق على نظام استقلال في الامبرطورية المجرية عقب حملة تمرد فعّال ورفض الضريبة . وفي أوائل الجيل الحالي صمد الشعب الفنلندي في وجه الروس بتمردّه المنظم على أوامر قيصر روسيا . في سنة ١٩٢٠ ، أحبط الألمان انقلاب عسكري باضراب عام ورفض تامّ لطاعة أوامر سلطة غير شرعية .

أثناء الحرب العالمية الثانية ، منع الدافركيون بتصرفهم الجماعي سلب اليهود التي كانت شرطة هتلر قد وضعت منهجه ، وفي كاليفورنيا ، قاد قيصر شافيز

César Chavez صراعا مسالما طويلا قام به عمال زراعيون لصالح الاعتراف بحقوقهم النقابية . وعندكم أنتم أيها الفرنسيون ، قام عمل فلاحي اللارزك ، وفي الولايات المتحدة عمل مارتين لوثر كنج وفي الهند عمل غاندي .واليوم ، يدير العالم أنظاره نحو هولاندا . " وكان الأسقف كمارا يكتب قبل انقلاب طغيان مرقس الذي سببه عصيان كوري أكوينو / Cory Aquino الانجليي والشعب الفيليبيني .

يحصي الأسقف هلدن قواعد للعمل المسالم والمبدأ الأول ، بدون شك ، هو الرفض التام لكل عنف ضد الحياة وكرامة الأشخاص . ولكن توجد خاصة استراتيجية العمل المسالم . ويقول الأسقف : " هذه الطريقة تتكيف بالطبع وفق نوعية النزاع المطلوب فضة ووفق القوى المتواجدة . بصفة عامة ، ازاء سلطة ظالمة ، تحاول الطريقة أن تزعزع أسس النزاع وهي الخضوع للظلم والتعاون مع العدو وطاعة الشعب . تسمى الطريقة لتنظيم عدم التعاون وتمرد الأغلبية : ما من سلطة يمكنها أن تظل على حالها طويلا ، ولو بالسلاح ، ضد سكان يرفضون الطاعة في جملتهم ، ويعترفون بسلطة أخرى . والاستراتيجية هي أيضا الحوار الذي لا بكل مع عملاء السلطة الظالمة والمقتنعين أو المسلمين أمرهم بين بين ، لمحاولة ضمهم إلى الصراع من أجل العدالة .

ما الأفضل ؟ هل الاختيار الأدبي أولا أو الاختيار الاستراتيجي ؟ يختار كثيرون المسألة لأسباب أدبية أو دينية : يحاولون أن يحلوا السؤال الدائم : كيف نعمل للعدالة والحرية والسلام بدون استعمال وسائل ، فقد تظهر فعالة على الفور ، ولكنها تحمل في طيها بذور موت للعدالة والحرية والسلام ؟ يود المسيحيون بصفة خاصة أن يظلوا أمناء للعظة على الجبل ويسيروا على مثال المسيح .

" ولكنّ عديداً من الأشخاص يختارون استراتيجية المسالمة لسبب فاعليّتها فحسب . ففي حملاته لتحرير الهند ، اعترف غاندى بأنّه لو انتظر أن يقتنع الجميع أديباً بضرورة المسالمة لما تقدّم كثيراً في مشروعه . تحاول المسالمة أن تجعل الخصم يتنازل عن رأيه وهو لا يزال عنيفاً . ولا يعنى ذلك أنّنا ننتظر ، لنعمل ، اقتناعه بالمسالمة . ولذلك إنّنا نعتبر أنّ المسالمة هي لليوم وليس لغد . فلا يجوز أن نعارض بين الأسباب الأدبيّة والأسباب الفعّالة . لأنّ المسالمة التي لا تهتمّ بأن تكون حقيقة عملاً جديراً بأن يؤثّر بطريقة فعّالة في التاريخ ، قد تكون جموداً مقنّعا وراء مبادئ عظيمة ومشاعر حسنة . "

تأثر الأسقف كمارة باضراب كان سببه مزدوجاً : سبب انجيبلى وسبب منهجى :  
اضراب عمّال مصنع أسمنت بلدة بيروس / Perus ، القريبة من ساو باولو ، وكان يستغلّ هذا المصنع ربّ عمل مقدام ، صاحب ٣٥ مشروعاً أخرى .

بعد ستّ سنوات كفاح متواصل ، لجح عمّال المصنع أن يحصلوا على حقوقهم . وماذا كانت وسائلهم ؟ ليس الأ طرق سليمة ، بما فيها الصوم ودوب صليب قاموا به عبر مدينة ساو باولو ، وعلى رأسهم عامل حامل الصليب . ولو كانوا قد خضعوا للعنف ، خاصّة في نظام عسكري ، لكانت الغلبة للقمع والردع .

## تطواف غريب

بطريقة بسيطة جداً ، كان الأسقف هلدر أهمّ من يمكنه القيام بعمل من هذا

النمط الناجح : حضر يوما ما بعض صيادين ليقابلوه ، وقالوا له : " نحن فى حالة رهيبة : يموت السمك الذى نصطاده ويطفو على سطح الماء . ماذا يؤول بنا نحن وأولادنا ؟ استفسر الأسقف وعرف أن مصنع مطّات جديد يفرّغ فضلاته فى الماء ، ويلوث جوانب الشاطئ . فتذكّر آنذاك كلمة قالها جان جوس ، أمين عام حركة المصالحة العالمية ، الذى حدثه مرارا عن المسألة : " ازاء ظلم ، لا بدّ من العمل . " فذهب هلدركمارة ليلاقى الصيادين وأوحى اليهم بأن يذهبوا لمقابلة رؤساء المصنع . ولكن لم يجرؤ على ذلك هؤلاء القوم البسطاء . " اذن ، فلنذهب معا " قال الأسقف .

فى هذا الحكم العسكرى الاستبدادى ، لا بدّ اذن من القيام بخطوة مثل هذه . قال قائد المنطقة للأسقف : " ليس فى مقدورى أن أسمع لك بذلك ، وإلا سوف يظهر جميع الثوريين ويحدث قتال . " - اذن ، يا سيّد ، أجاب الأسقف ، لن نقوم بمظاهرة ، بل بتطواف بسيط ، وأنت تعلم أنه ليس لكم حقّ التدخل فى المسائل الدينية . "

فى اليوم المتفق عليه ، شرع التطواف الغربى فى مسيرته ، مكونا من رجال ونساء وأطفال ببطون عالية من سوء التغذية ، عرايا أو يرتدون أطمارا . وعلى رأسهم أسقفهم ، أى الكنيسة متماثلة مع رؤس الشعب . لا لافتة معهم ، فقط صليب من خشب مع شبكة الصيد .

وصلوا الى المصنع وكان فى استقبالهم رجال الشرطة بينادقهم ورشاشاتهم الصغيرة . ولم يوجد أحد من رجال الادارة . خيبة أمل مرّة ! وعليه ، كان

الأسقف كمارة يفكر فيما كان قد قام به القس كنج محله . لمع سيارة ، فصعد على ظهرها ووجه خطابه الى الجمهور قائلا : " انكم ترون أن أولئك أرباب العمل بشر مثلنا ، بنقائصهم . وأنتم تذكروا باخلاص : يحصل لكم أن بعدما تبيعون سمكم ، تذهبون الى بائع خمر لتشربوا منكرا بدلا ما تعيدون ببالكم الى بيوتكم . وفي هذه اللحظة ، يقرع يسوع ضميركم وقلوبكم ، ولكنكم لا تصفون اليه قورا ودائما ، فيضطر أن يقرع مرآت عديدة . وكذلك أولئك أرباب العمل ، ان قرعنا بايهم مرة واحدة - وبواسطتنا يقرع المسيح - لا يفهمون . ولكن سنرجع غدا ونقرع من جديد . "

ورجع الناس إلى منازلهم مصممين على الرجوع . ولكنهم لم يضطروا إلى ذلك . في الغد ، روت الصحافة كلها التطواف . فشرع حينذاك أرباب العمل يدركون أن قوة بدأت تتحرك وتقاضى ضميرهم . وبعد ظهر هذا اليوم ، قابل هلدركمارة صاحب الشركة بحضرة مدير الشرطة :

" أنا مطرانكم . تعلمون ما سببته منتجات مصنعكم الكيماوية : الناس معرضون للموت من الجوع بسببكم . فدافع رئيس المصنع عن الموقف قائلا : " لا يمكننا أن نعمل خلال ذلك . قد نضطر أن نشغل أربع مائة عامل جديد ونعيد النظر الى بنية المصنع الادارية بأكملها . "

فأجاب الأسقف كمارة : " أيها المدير ، كم من عامل لديكم في ريسيف ؟ "

" هذا أكثر من اللازم لطمر المنتجات الكيماوية ريشما تغيّر بنية المصنع .  
أليس فى مقدور المدينة حالياً أن تقترح على مساعدة مالية لدفع أجور العمال  
الجدد ؟ "

وهذا ما حدث : طمرت المنتجات الكيماوية ، ورجع السمك إلى مجراه ،  
وبالتالى استعاد الصيادون تغذيتهم .

### مصنع البارود

تستبعد المسألة الحرب ولتحضيرها . فى هذا الصدد ، يندد الأسقف كمارة  
بعشار ثلاثى :

أولا سباق التسلح المكثف : وهو الجنون الأول : فى سنة ١٩٨٦ ، أنفقت الدول  
ألف مليار من الدولارات على ميزانيتها الحربية ، أى مائتى دولار عن كل ساكن  
فى الكوكب ، بقدر إيراد سنوى يحصل عليه مواطن بوركيننا - فازو  
Burkina-Faso / ( على سبيل المثال ، تبلغ الميزانية الحربية فى فرنسا لسنة  
١٩٨٩ مائة واثنين وثمانين مليارا ونصف من الفرنكات أى ثلاثة آلاف وثلاث مائة  
وعشرة فرنكات عن كل ساكن ) . ويذكر هلدنر كمارة كلمة البها بولس السادس  
فى رسالته : " فى تقدّم الشعوب وارتقائها " : " عندما يعانى من الجوع عدد عظيم  
من الشعوب ، وعندما يعانى من البؤس عدد عظيم من الأسر ، وعندما لا يزال عدد  
عظيم من البشر منغمسين فى الجهل ، وعندما يظل عدد عظيم من المدارس

والمستشفيات والمنازل اللاتمة محتاجة الى البناء ... يصبح كل سباق مضر للتسلح عثارا لا يطاق . " ويذكر أيضا الأسقف كمارة كلمة العميد أيزنهاور ، رئيس الولايات المتحدة : " يكون كل مدفع يخرج من المصنع سرقة على حساب الجائعين . " ( من خطاب ألقاه في نيويورك يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٥٣ ، وأضاف الرئيس : لا ينفق هذا العالم المسلح مالا فحسب ، بل ينفق عرق عماله وعبقريته علماته ، وآمال أولاده . يطابق ثمن قاصفة واحدة ثقيلة ثمن ثلاثين مدرسة عصرية أو مستشفياتين مجهزين تجهيزا كاملا . " ) .

الجنون الثانى ، هو مصنع الأسلحة النووية ، وهو يوازي مليون قنبلة مثل قنبلة هيروشيما ، أى المزمع أن يدمر كل الحياة التى وضعها الخالق على الأرض . " يقول لنا إخواننا ساكنو الشمال ، مناصرون السلاح النووى : " أنظر كيف ، منذ أربعين سنة ، وقانا التهديد النووى من الحرب ، فلم تقع بعد الحرب العالمية الثالثة . فى الواقع ، لم يزل رجال الدول العظيمة محتمين بصواريخهم ، يحاربون باستخدام الشعوب الفقيرة ، وأحصت هذه النزاعات عددا من القتلى يضاهاى عدد من ماتوا فى الحرب العالمية الثالثة . "

والجنون الثالث هو تجارة الأسلحة . " يقول هلدنر كمارة : بصفتى عضوا غير فنى فى معهد ستوكهلم العالمى للبحث عن السلام ، اتى أحصل على معلومات عديدة . ان صناعة الأسلحة تقامس بمنطق رهيب : لا يمكن دولة أن تصنع أسلحة لذاتها إلا اذا نوت أن تصنعها بالجملة والأ اذا فكّرت أن تبيع أسلحة لغيرها . ولئن يمكنها أن تبيع ؟ ليس بالطبع للدولتين الكبيرتين ، إذن ستتجه نحو البلاد الفقيرة التى ينقصها الضرورى لشعوبها ، وهكذا تجذب هذه البلاد إلى سباق التسلح .

وبما أنه يبطل استعمال الأسلحة العصرية بسرعة عظيمة ، يرجع البائعون ويوحون إلى البلاد الفقيرة بمهارة عظيمة بأن الأمن الدولي يقتضى ... وأن جاركم اشترى توكاً أسلحة من أحدث طراز ... " وهذا النمط من التجارة هو شرك شيطاني .  
بشرح التاجر في صنع أسلحة ليدافع عن نفسه ، ثم يبيع أسلحة ليتمكن أن يستمر في صناعتها ، ويحاول أن يحدث على حروب ليتمكن من متابعة بيع الأسلحة . "

### صوم أورليان / Orléans

يعرف الأسقف هلدنر المكان الذي تحتله فرنسا في هذا النوع من التجارة . في نهاية محاضرة ألقاها في أورليان يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٧٠ ، أمام ثلاثة آلاف مستمع ، سأله أحدهم : " قررت الحكومة الفرنسية في الساعة أن تبيع ست عشرة طائرة ميراج للبرازيل . ماذا رأيك في هذا ؟ " وجاء الجواب مباشراً بدون أي التواء : " إن ذلك فضيحة للبرازيل وفرنسا . "

فضلاً عن أن جفافاً رهيباً كان يجتاح في ذلك الحين منطقة شمال شرق البرازيل ، كان كثير من المناضلين في جماعة أورليان المسالمة يتساءلون عن طريقة احتجاجهم على هذه الفضيحة . فقرر أهم باحث نشاط في هذه الجماعة ، وهو المدرس جان ماري مولر / Jean-Marie Muller ، وكاهن يدعى جان ديبواه / Jean Desbois ، أن يتعهدا بصيام لمدة خمسة عشر يوماً علامة على احتجاجهم . وكتبوا إلى رئيس الجمهورية جورج بومبيدو / Pompidou : " لا يمكننا أن نأكل من هذا الخبز الذي أهدناه بأسلحة . " وفي دير بيت عانية / Béthanie ، بقرب من أورليان ، امتنع المتطوعان عن كل غذاء من ١٩ يونيو إلى ٣ يولية .



- وجلب عملهما - الذي عكسته الصحافة - حركة تضامنين ، أى سلسلة أصوام عامة أو خاصة : فى باريس وليون وتولوز ومونبلييه وبرنيان Perpignan , Montpellier, Toulouse, Lyon, Paris à ... وكان الصائمون يتحاورون مع زوارهم وينشرون نصوصا . - فى كليرمون التابعة للسواز ، A Clermont-de-l'Oise / أرسلوا المبلغ المعادل للوجبات التى ضحوا بها الى هدر كمارة . وفى روان / A Roanne ، امتنع مائة وخمسة طلاب عن الأكل فى يوم حصل فيه انفجار نووى فى موروروا / à Mururoa . وكتب عديد من المواطنين الى رئيس الدولة ليعلموه بأنهم متضامنون مع مولر وديبواه اللذين تسلما ضعف أكثر من ألف جواب .

أتى مطران أورليان ، الأسقف ريويه / Riobé مرات عديدة ليزور صديقيه خلال صومهما . وكان يساندهما خاصة برسالة عامة قائلا : " تلقينا شهادة الأسقف كمارة كدعوة مباشرة لضميرنا . ومنذئذ ، لا يمكننا حقا أن نعتبر أنفسنا متضامنين مع العمل للعدالة والسلام ، الذى باشره هدر كمارة بشجاعة فى بلده ، الأ بقدر ما نقوم بنفس الصراع لدينا . ونرى فى هذا الضرورة لستوليتنا بأن نلتزم مباشرة . " فكيف نقبل أن نفتنى من بيع طائرات الميراج لبلد فيه جماهير من الناس محرومون من خبز وحرية . "

ان رسالة الأب ريويه قد جلبت له مراسلات عديدة تسود فيها الشتيمة . ولكن أساقفة آخرين فى تولوز وريانس وأراس وبلوا ونانت Nantes, Blois, Arras , Reims, Toulouse à ... ضموا احتجاجهم إلى اعتراضه . وكان ذلك كله سلسلة نتائج لكلمة الأسقف البرازيلى الانفجارية . "

ولكن هذا الأخير يرفض أن يقرع ندمه على صدر الآخرين . فكان يقول فيما بعد : " يدرج بلدى نفسه فى لائحة شرف بيع الأسلحة . ولكننا نحن ، معشرا البرازيليين ، لا نقبل شرف تصنيع الموت . وإذا جهل بلدى الحرب ، فقد انتفع منها . كانت البلاد المحاربة محتاجة الى مواد أولية . وبالنسبة الى البرازيل الذى لا تنقصه المواد الأولية ، كانت هذه ضربة حظ . "

### جائزة السلام الشعبية

ألا يستحق الأسقف هلدركامارة جائزة نوبل للسلام ؟ فكّر فى ذلك كثيرون فى العالم ، و عرض الأمر مرارا شخصيات عديدة أو جمعيات لهيئة محكيم أوسلو ، ولكن بدون جدوى . وعليه قرّرت كنائس النرويج والسويد ، معتمدة على النقابات وجماعات الشباب ، أن تمنحه جائزة نوبل موازية ، جائزة شعبية للسلام ، وبالفعل كانت هذه الجائزة شعبية ، لأنه من كل البلاد الاسكنديناوية ، ومن هولاندا وبلجيكا وألمانيا وفرنسا ، تدفقت الهبات ، التى كوّنت اجمالا ١٧٥ ألف دولار ، سوف يستخدمها الأسقف كامارة لشراء مزرعتين بهدف استغلالهما على يد تعاونيات مع الامكانية أن العمال المزارعين قد يصبحون فيما بعد ملاكا لهذه المزارع . حصل الفائز على جائزته فى أوسلو يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٧٤ .

بأى روح ؟ يقول الأسقف : " ليس لى الغرور الذى يجعلنى أفكر أن هذه الجائزة هى جائزة شخصية : ما أنا إلا ممثل لكلّ الذين ، فى العالم ، يكافحون للعدالة . انى أفكر فى غاندى الذى مات بدون الحصول على مكافأة بشرية . أفكر فى أخى

مارتن لوثر كنج وفي جميع المسجونين لقضية العدالة . أفكر في دانيلو دولتشسي / Danilo Dolci الذي يجاهد في ايطاليا للترقية البشرية في المناطق النامية . أفكر في أخى البرازيلي باولو فريره / Paulo Freire ، المنفى في فرنسا بسبب طرق التوعية التي أوحى الله بها اليه . " ...

فيما بعد ، سوف يتقاسم الأرجنتيني بيريز إسكوفيل ، الحائز على جائزة نوبل للسلام في سنة ١٩٨٠ ، جائزته مع هلدرك كمارة . ثم ، لما كان بيريز مشتركاً بجانبه في اجتماع فلاحين من شمال شرق البرازيل ، سلم اليه الوسام الذهبى الذى يرمز الى اكرامه ، موضحاً بقوله : " حصلت على هذا الوسام باسم جميع المضطهين وأعهد به الى الأسقف كمارة الذى لست الا تلميذه الصغير . "

فضلا عن ذلك ، أعلنته سبع جمعيات دكتورا في العلوم الاجتماعية ، أو في الحقوق ، وبين هذه الجماعات منشآت مشهورة مثل هارفارد والسربون ولوفان ومونستر Munster , Louvain , la Sorbonne , Harvard . وماذا دلعه الى قبول هذه التكريمات ؟ قال : " بما أنى معتبر كهدام في البرازيل ، وأن هذه الجماعات تحظى بشهرة ما ، سوف تعطى هذه التكريمات ثقة في الأفكار التى أحاول أن أنشرها . ولكن ، أكرد أنى لا أقبلها أبدا من أجلى . لست الا بمثل الناس الذين لا حظ ولا صوت لهم . " ولذلك ، بعدما حصل على شهادة الدكتوراه في هارفارد قال : " انى أرفع كأسى اكراما لجميع من خدمتنا توا أثناء الوجبة ، السود وغيرهم ... ومرفقا الاشارة بالكلام ، ذهب ليقبلهم .

في السربون ، عندما أعلن دكتورا شرفيا ، أوحى بانشاء معهد عال للسلام ،

ومثلما يوجد مدرسة حربية سوف يدلّ هذا المعهد على تركيبات هذا الجنون الذي يُدعى الحرب ، وتعمل المخيّلة الخلاقّة في خدمة السلام .

وتابع رئيس الأساقفة : " أشرت إلى مسألتين عمليّتين قد يستطيع هذا المعهد أن يشرع فيهما : في المجمع القاتيكاني كُنّا على وشك إدانة الحرب إدانة تامّة ، عندما حضر وفد من العمال الأمريكيّين ليقولوا لنا : " لا تدبّونا مطلقاً كلّ الحروب ، فقد يسبّب ذلك أزمة اقتصادية وبطالة . يرجع لمعهد السلام أن يؤسس جماعة تعاون بين الصناعات تدرس امكانيّات إعادة الصناعات الحربيّة الى وضعها السابق أي الى صناعات سلام . المثل اثنى هو تحديد أسعار التجارة العالميّة . عندما قرّرت البلاد العربيّة أن تحدّد بنفسها سعر البترول ، لم يخش هنري كيسنجر أن يلوّح بتهديد الحرب ، إنّ مشكلة هذه التسعيرة مسألة معقّدة تستدعي دراسات عميقة ، وهذا تحدّي آخر لمعهد سلام عال . "

في نظر هلدر كمارة ، إنّ أحد جذور الحرب هو شعار روماني ، وثنى ، تبنّاه قادة الأمم وعدد كبير من المسيحيّين ، وهذا الشعار هو : " اذا أردت السلام استعدّ للحرب " . ويقاوم الأسقف هذا المثل السائر ، الذي يدعى بأنّ الشعوب تتجنّب الحرب باستعدادها لها ، بمثل آخر هو : " اذا اردت السلام استعدّ للسلام .

وهذا المثل الأخير هو كلمة من كلمات البابا بولس السادس . هي شعار جدير  
بكنيسة يسوع المسيح .

## الفصل العاشر

### رجل الكنيسة

يقول هلدنر كمارة : " انى أعزّ معزة عميقة أمى الكنيسة ... بدون الكنيسة لما وجد من يدعى الأسقف هلدنر ولا كان أسقفنا ولا كاهنا ولا حتى مسيحياً . ليس الأسقف كمارة جندياً غير نظامى ، بل هو يرغب فى أن يكون أميناً لروما . عندما ظهرت رسالة " الحياة البشرية " التى كانت موضع نزاع ، على الأقل فى البلاد الغنية ، اغتبط هلدنر كمارة بأنه رأى هكذا التنديد " بالاستعمار الخاص باحصائات السكان " لدى الأمريكان الذين كانوا يحاولون أن يغمروا أسواق العالم الثالث بأقراصهم المانعة للحمل . - دعا ماسونيون الأسقف مرأت عديدة ليتكلم فى محافظهم ، ولكنه رفض الدعوة لأن روما تمنع ذلك . عندما هبت ربح النزاع فى سنة ١٩٦٨ والسنوات التالية ، حذر الأسقف الشباب قائلاً : " يحاول البعض أن يقولوا : " الآن ، حتى يظلّ الشخص أميناً للمسيح ، لا بدّ من أن يبتعد عن الكنيسة المؤسسية . بالنسبة الىّ ، هو العكس تماماً . أنا دائماً محتاج الى أن أكون فى خطّ البابا . "

فى إذاعة " فحص بالأشعة " فى سنة ١٩٧٠ ، سأله جاك شانسيل :

Jacques Chancel " ألسنت تقدّمياً ؟ فأجاب الأسقف بمثل السيّارة : " إنّ البعض مؤسّسون الى حدّ أنهم يريدون دائماً أن يكبحوا ، والآخرين متعجلون الى حدّ أنهم لا يفكّرون إلا في الاسراع . في الواقع ، محتاج الكنيسة إلى فرملة ومسرّع في آن واحد . وطرح عليه سؤال آخر كان شركا : " هل أنت مع الكنيسة الأفقيّة أو مع الكنيسة العموديّة ؟ فأظهر الصليب الذي على صدره : الصليب أفقى وعمودى معا ، متّصل بالله ومرتبطة بالبشر . ليس كلّ ساق من ساقيه وحده صليبا ، بل لا بدّ من الاثنين ، والاثنان متّحدان على الدوام ، مثل ما جمعه المسيح الى الأبد : محبة الله ومحبة القريب . "

على أنّ الكنيسة لها وجهان : " هي في آن واحد الهيّة وخاطشة : الهيّة بمؤسّسها ، ولكنها في نفس الوقت سلّمت الى ضعفنا البشرى . ولذا فهي لا تزال محتاجة إلى أن تضبط نفسها يوما بعد يوم ، وأن تهتدى . لا بدّ من أن تكون لها الشجاعة لتعدّل قوامها الخاصّ ، وإلا لن تحصل على القوة الأدبيّة لتنتقد قوام المجتمع . وهكذا ، إنّ التمسك بتقليد الرعيّة التقليديّة معارض للمجتمع التريدينتيني ذاته : لأنّه يصف الرعيّة كمنطقة تسمح للراعي بأن يتعرّف على سكّانه : الأمر الذي هو محال عملياً في مدننا العصريّة . ونحن نعلم أنّ الأسقف كمارة يضع كلّ رجائه في الجماعات الشعبيّة .

### التحرير المزدوج

غالبها ما يُسال هلدر كمارة عن لاهوت التحرير ، فيفسّر قائلاً : " كلمة " تحرير " هي من كلمات الكتاب المقدّس . عندما كان الشعب العبراني مرهقاً

فى مصر ، تحت حكم الفرعون ، صرخ نحو الرب ، وسمع الرب صراخه ، وأقام موسى ليحرره . كيف نظن أن فى أيامنا ، حيث ثلثا أبناء الله يعيشون فى البؤس ، يظل الرب أصمًا لصراخ شعبه ؟

" والمشكلة هى أن الحل الجذرى يستهوى البعض : ففى الواقع يفتكر البعض خاصة فى التحرير الروحى ، ناسين التحرير البشرى ، بل رافضينه ، لأنهم حاصلون على خيرات كثيرة . والبعض الآخر لا يهتمون إلا بضرورة التحرير البشرى العاجلة الى حد أنهم يقولون : " هل نصلى ؟ سنجد دائماً وقتاً للصلاة فيما بعد ! " . كلاً ، التحريران لا ينفصلان ، ولا بد للمسيحى من أن يعمل لهذا الغرض ، مثلما الأب ، الخالق ، يريد أن تخلق معه ، كذلك الابن ، القادى ، يريد أن نلقى معه ، مكملين التحرير الذى شرع به : التحرير من الخطيئة ونتائجها .

وسعد الأسقف كمارة بأن يرى هذا التحرير المزدوج ، الروحى والزمنى ، محققاً فى مؤتمر فيلادلفيا / Philadelphia القربانى العالمى ، فى سنة ١٩٧٦ ، سنة الذكرى المئوية الثانية لاستقلال الولايات المتحدة . ولتحضير هذا الاجلال الاحتفالى بالمسيح - القربان ، كان الأساقفة الأمريكان قد نظموا سلسلة مؤتمرات قطرية لموضوع " الحرية والعدالة للجميع " ، موضوع مأخوذ من " القسّم للعلم " الذى يؤدبه العساكر . وهكذا كان المؤمنون محمولين على أن يتساءلوا : " هل ينطبق شعارنا الجميل على " الحرية والعدالة للجميع " ، على عائلاتنا ، على جماعاتنا وعلى منشآتنا ؟ وهل يوجد هذا الشعار حقاً من أجل السود ؟ من أجل المكسيكيين ؟ ومن أجل البرتوريكيين ؟ وفى العالم ، هل تسهل حقاً الولايات

## المتحدة والعدالة للجميع ؟

فى شهر يولية سنة ١٩٧٦ انعقد مؤتمر فيلادلفيا . وفيلادلفيا اسم مختار للتحرير ، لأنه يعنى : " مدينة المحب الأخرى " ، وقد اختاره مؤسس المدينة ، وليم بن ، رسول المسالمة . كان أحد أزمته هذا المؤتمر المهمة الوقت الذى اجتمع فيه على المنصة رسولان من رسل زممتنا ، هما مادرة تيريزة الهندية وهلدر كماره : جسمان ضعيفان وظهران محدبان قليلا وكأتهما رازحان تحت ثقل حالات يؤس العالم ، ووجهان متجعدان ، ولكتهما مشرقان بالسرور . بحركة عفوية أخذ رئيس الأساقفة يدي الأم تيريزة وقبلهما باسم جميع الفقراء .

كان هذان الشهيدان - شاهدا المحبة - صورة حبة لبرنامج المؤتمر ، الذى كان عنوانه : " الافخارستيا وكل أنواع الجوع فى العالم " : جوع الى الله ، وأيضا جوع الى الخبز ( وعرض يوم صيام مشاركة مع الجياع ) ، جوع الى العدالة ( قدم قيصر شافيز بيانا عن حملاته المسالمة مع العمال الزراعيين ) ، جوع الى الحرية ( ملايين من المسيحيين مضطهدون من أجل ايمانهم ) ، جوع الى السلام ( يهدد سياق التسلح حق الفقراء ) ، هذا ما كان الأساقفة الامريكان قد أعلنوه الساعة .

با للمسافة التى كان الأسقف كماره قد قطعها منذ مؤتمر ريو القربانى ، أى منذ عشرين سنة ، حتى مؤتمر فيلادلفيا بالنسبة اليه ، منذ الآن ، يوجد رباط لا ينحل بين العبادة القربانية والكفاح للعدالة . وهذا ما سيقوله فى شهر يوليو سنة ١٩٨١ ، بمناسبة المؤتمر القربانى العالمى فى لورد / Lourdes .



دعى الى تولوز / Toulouse للاجتماع المنعقد لتحضير المؤتمر وقال : " لا بدّ من أن نتعلم الاجتياز من القربان المقدّس الى افخارستية الفقير . لعلّ هذا التعبير قويّ بعض الشيء ، ولكن ما هي الافخارستية ؟ بالنسبة اليّنا ، تحت أعراض الخبز والخمر ، هي حضور المسيح حقيقة . وما هو الفقير ؟ تحت أعراض اليّوس - اليّوس الحقيقي - هو أيضا حضور حقيقي للمسيح . "

وضّح هذه الفكرة بمثل معاش قائلًا : " يوما ما ، في ريسيف ، جاعني مؤمنون باكين : كان سارق قد دخل كنيستهم وكسر بيت القربان وذهب به . وقد وجدوا وحدات القربان المقدّسة في الوحل ، فأتوا يطلبون متى اقامة ذبيحة تعريضية . وقبلت بالطبع . وأثناء اقامة الذبيحة ، لم يسمعني إلا أن أمدح حماس الرعية القرباني . وقلت بعد ذلك : " أيها الاخوة ، كم نحن عمى انّا اكتشفنا وحدات القربان المقدّسة في الوحل حركت قلوبنا بشدة . ولكن المسيح في الوحل عندنا ظاهرة تبدو لنا كلّ يوم : في الأكواخ التي حالتها أخطأ من البشرية ، في قلب المستنقعات ، لا بدّ من أن يقابل ايماننا سيدنا يسوع المسيح حيًا في شخص الفقراء ... " .

أبنة سياسة ؟

سؤال لا يعبده هلدر كمارة : " كم تضمه من نسمة رعيتك ؟ " قال المسيح لرسله : " سوف تكونون صيادي بشر " وليس صيادي أرواح . " لم أقابل قطّ أرواحا صرف ... "

وتابع : " أعترف أنّ في الماضي كنّا منشغلين بحفظ النظام الاجتماعي المزعوم الى حدّ أنّنا كنّا نقدّم لمستمعينا مسيحيةً سلبيةً عندما نعظ الصبر والطاعة والحياة الأبدية . واليوم ، لما أذهب الى أحياء البؤس أقول للناس : " أنّه من المحال أن تعيشوا وأن تربوا أبناء في هذا الرجل . " فيقولون لي : " لكن ، يا أبانا ، لا بدّ من أن نقبل ارادة الله . " وأجيبهم : " إنّ ارادة الله ليست البؤس ، فالبشر هم الذين يخلقون حالات الظلم ، وعلينا ألا نقبلها ونكافح لتغييرها .

وما هو الكفاح من أجل التغيير ؟ يقولون له : " ولكن يا أبانا أنت تمارس السياسة . " فيجيب : " إنّ السياسة بالمعنى الواسع والنبيل هي الاهتمام بالخير العام . قد نجهل رسالتنا إذا أردنا أن نقصرها على أبعاد خدمة الكنيسة والاهتمام بالأبدية . فالأبدية تبدأ هنا واليوم . "

الأ أن الأسقف كمارة يميّز في هذا الميدان بين دور السلطات الكنسية ودور العلمانيين ، ويقول : " يشبه القديس بولس المجتمع بالجسم الانساني . في جسمنا ، كلّ عضو له وظيفته الخاصة ، لا عضو يمكنه أن يمارس كلّ الوظائف ولا أن يتخلّى عن باقي الأعضاء . وهكذا أيضا الوضع في المجتمع . على جميع أعضائه أن يهتموا بالسياسة بمعنى الخير العام . ولكن التعهّد العملي في حزب من الأحزاب عمل العلمانيين وليس الكليريكين .

بالنسبة لهذا الوضع ، قد " اهتدى " هلدو كمارة . قال : " في شباهي ، عملت حسب طلب أسقفى وبرضاه للحزب " الكمالي " الذي كان يسترشد بمبادئ

سالزار وموسوليني / Salazar et Mussolini ، وبالرابعة الانتخابية الكاثوليكية التي كانت تضغط على المرشحين لصالح برنامج أعدته الكنيسة . ولكن سرعان ما فهمت أن ذلك ليس دور الكاهن ، ولا بالأحرى دور الأسقف : أن يؤثر على السياسة من خلال حزب .

يقول أحد أصدقاء الأسقف : " أثناء سفري الأول إلى البرازيل في سنة ١٩٦٣ ، قيل لي مرارا : إن هلدنر كمارة أعظم رجل شعبي من رجال بلدنا . لو تقدم لانتخابات الرئاسة ، لحصل على ثلاثة أرباع الأصوات . " فضلا عن ذلك ، في انتخابات سنة ١٩٦٠ ، بعض أحزاب سياسية استطاعت رأيه في انتخابه لنيابة الرئاسة ، ولكن هلدنر كمارة صرف عن نفسه كل هذه الاحتمالات .

## شيوعى

" هلدنر شيوعى " ( مختصر شيوعى ) . نسبوا اليه مرارا هذه التهمة بصور مختلفة : ماركسى ، مدمر ، أسقف أحمر . " كان من بين الطرق المتبدلة أن يهوكوا " ببيع الشيوعية ليدافعوا عن حقوقهم أو يقتنعوا مذهبهم الثورى . في فرنسا ، أثناء الاحتلال ، علقت لافتة لصالح خدمة الشغل الاجبارى في ألمانيا تقول : " أعطوا شغلكم لتخلصوا أوروبا من البلشفية " ( الشيوعية الروسية ) .

في البرازيل أعلوا الخوف من الشيوعية إلى قمته : في هذا الجو العدائى ، كان يُعتبر أى كلام معتدل هداماً وقد روى الأسقف كمارة هذا الحوار مع قائد عسكري :

" أيها العميد ، لماذا تقول انى شيوعى ؟ لماذا ، أنتم ، القادة العسكريون ، تلاحقون كهدامين كل الذين يعملون ويكافحون للتنمية البشرية ؟ "

- ان تفسير ذلك سهل جداً : لأنه أسهل وأسرع أن تفتح أعين الشعب من أن تحقق اصلاحات . اذن اذا استمرت فى فتح أعين الناس وفى اعطائهم فكرة اصلاحات لا يمكن أن تحقق فوراً ، أصبحت فى الواقع مهيبجا وهدأما . وسوف يستفيد الشيوعيون من بقظة الوعى النقاد هذه .

- " الهم ، أيها العميد ، هو الحالة التى يعيش فيها الشعب . "

وقسر الأسقف كمارة بأسلوب موجز قائلاً : " عندما أخفف جوع الفقراء ، يقول الناس انى قديس ، وعندما أطلب لماذا يعانون من الجوع ، يتهمونى بانى شيوعى . "

فى الواقع ، أظهر رئيس الأساقفة بالكفاية اعتراضه على الماركسية حتى ان هذه الاتهامات تتراءى سخيفة تماما ، وقال " انى أنتقد الرأسمالية وقاس مع الولايات المتحدة ، ولكنى أيضا صعب جداً ازاء سلطات الشرق العظيمة ، مثل روسيا والصين ، التى أعتبر أنها تقلد الاشتراكية أقطع التقليد . وقد يكون الفرق شاسعا بين النظرى والعملى . فنظرياً ، تحدد الماركسية نفسها ثقافة انسانية ، بل الثقافة العلمية الوحيدة . نظرياً ، تؤسس الماركسية على قيم انسانية عميقة : على السلام والتضامن والاخاء بين الناس ، وتحرر العامل ، عملياً ، أقامت الشيوعية الحاجز الحديدى وحائط العار . عملياً ، تحول فكر

ماركس الى عقيدة ، وكذلك نظرتة الى جوهر الديانة المغترب والذي يجعل الناس يتخلون عن حقوقهم وحرمتهم : الأمر الذى أدى الى الاتحاد المجاهد والاضطهاد الدينى . وعملياً أيضاً ، استمر الكفاح بين طبقات الشعب ، لأن حكم طبقة العمال المطلق لم يصل الى المرحلة " السمائية " التى كان يتوقعها ماركس ... "

فيما بعد ، يجيب الأسقف على أسئلة طرحها عليه شبّان ، وكانت قد أخذت مبادرتها جريدة " الحياة " الأسبوعية : " لو منحك بلد شرعى جائزة السلام ، هل تقبل الذهاب إليه بالسهولة التى ذهبت بها الى اليابان للحصول على جائزة بودية ؟ "

- " لا " ، إننى أكّدت دائماً أنى لن أذهب إلا حيث أكون على يقين أنه يمكننى أن أتكلّم اخائياً وحرّياً ، وبدون أن تستعمل أقوالى للدعاية . لا يوجد الأ بلد واحد قبلت فيه أن أكون محروماً من الحرّية ، وهو البرازيل ، لأته وطنى . "

هل يمكن لمسيحى ، يريد أن يغيّر العالم باسم ايمانه ورجائه ، أن يختار طريقة مثيرة للشبهة مثل طريقة الثورات الماركسيّة ؟

إنى أحترم الذين يقومون بهذا الاختيار بدمّة وصدق . ولكن اذا كان هذا الاختيار هو اختيار السبيل الذى خطّطته عاصمات الشيوعية الدولية الكبيرة ، وفرضته وناصرته ، فقد يكون الخروج من عبوديّة لوقوع أكيد فى عبوديّة أخرى . الأ أننا نعرف جميعاً شيوعيين قد اختاروا الشيوعية لأنهم وجدوا فيها طريقة ايمانهم بالانسان وخدمتهم لاخوانهم ، وليس لأنهم يريدون السلطة حتى يعطوها لموسكو

ويكين أو للهاثان . وعليه ، يمكننا أن نشاركهم في كفاح لتنمية العدالة . أتى أحمد التمييز الذي قام به البابا يوحنا الثالث والعشرون في رسالته عن " السلام في الأرض " قائلا : " أنه من العدل أن لميز بين الخطأ والذين يقترفونه . الرجل التائه في الخطأ يبقى كائنا بشريا ويحتفظ بكرامة شخصه . "

وبالرغم من هذه الايضاحات ، سوف يستمر خصوم هلدركمارة في نعتهم به " هدام " . وهو يقول باهتسامة : أنا بصحة حسنة وعالية مع شخص كان زميله في المجمع المسكوني ، هو الكردينال ليونار / Liénart ، أسقف ليل / Lille ، المعروف بالموقف الاجتماعي الذي كان يأخذه دائما . فبينما كان هذا مندداً به في روما ومتهماً بببله الى الماركسيّة ، وضع على رأسه البابا بيوس الحادي عشر ، بحركة رائعة أمام الجمهور قبعة الكردينال ، علما بأنه لم يتجاوز عمره الستة والأربعين عاما .

### أخذ البابا بولس السادس الأسقف كمارة على عهدته

كان خصوم هلدركمارة يريدون أن يسكنوا خارج البرازيل هذا اقم الذي كتموه في بلده . لاشك في أنهم قاموا بمساع لهذا الغرض لدى الادارة البابويّة . في شهر فبراير سنة ١٩٧٨ ، نشرت اشاعة بأن القاتيكان قد طلب من الأسقف كمارة أن يعدل عن أسفاره في الخارج ليهتم بمطرانيتته الواسعة : سبب هذا الطلب صدمة في العالم : في جامعة لوفان / Louvain ، رجا ٢٥ كاهنا و ٣٠٠ طالب من كلية اللاهوت ألا يكتبتم صوت نبويّ " . وكتب الأسقف ريوبييه في جريدة أورليان "

الأسبوع الدينى": لا يجوز حبس أسقف فى منطقة أبرشيته ، لأنه مع البها وسائر الأساقفة ، عليه أن يهتم بالعمل ، أميناً للروح القدس ، الى أقاصى العالم ، وأن الأسقف هلدر كماره هو حقاً أسقف بهذا المعنى ويحمل الاهتمام بجميع الكنائس .  
وطلبت جماعة أساقفة بلجيكا ذاتها من روما ايضاحات عن هذه المسألة . أجاب الكردينال فييو / Villot ، أمين سرّ دولة الفاتيكان ، الى الكردينال سوينانس / Suenens ، رئيس جماعة الأساقفة فى بلجيكا أن الخبر المعنى غير صحيح ، ومن جهته ، أوضح مكتب صحافة الفاتيكان ، يوم ٢٢ مارس ١٩٦٨ ، أن الكرسيّ الرسولى لم يطلب قطّ من الأسقف هلدر كماره أن يعرض عن أسفاره ، ولكنه يعترف بأن أحد زملاء الأسقف كماره قد دعاه الى أن يأخذ بعين الاعتبار ، بصفة خاصّة ، احتياجات مطرانيّته الرعائيّة ... "

فى كلّ هذه المسألة كان الأسقف هلدر يلزم الصمت . وفى يوم ١٥ يونيو التابع ، استقبله البها بولس السادس . فأعلن الأسقف فى محطة اذاعة الفاتيكان: " كان الحديث حاراً . قدّم لى الأب الأقدس كأساً كعلامة مشاركة . ولما كان عالماً بأنّى مدعراً أحياناً لأتنقل فى العالم ، بارك جميع الذين سوف أذهب اليهم . "

هكذا ، يعلم الأسقف أنه ماخوذ على عهدة أعلى درجة فى الكنيسة . ولولا ذلك لأدمى قلبه . قال : " قد يكون أعظم خزي لى أن يفقد البها ثقته فى . " وفى الواقع ، فهو سعيد أن يؤكّد : " كان لى الحظّ والفرح أن أحصل على مقابلة خاصّة مع البها بولس الثانى عشر ، وأن يستقبلنى ثلاث مرّات البها يوحنا الثالث والعشرون بصفة لا يمكننى أن أنساها ، وأن أتقابل مراراً مع الحبر مونتيني ، ثم مع الأسقف مونتيني ، ثم مع الكردينال مونتيني ، ثم مع البها بولس السادس ،

وأخيرا أن أتواجد غالبا مع البابا يوحنا بولس الثانى . "

### البابا يوحنا بولس الثانى فى رسييف

فى قاعة الاقامة التى يستقبل الناس فيها الأسقف هلدز ، كانت تجلب نظر الزائر فورا صورة شمسية تمثل البابا يوحنا بولس الثانى ورئيس الأساقفة كمارة بتعانقان بحماس . وكان قد حدث هذا يوم ٧ يولية سنة ١٩٨٠ ، فى رسييف ، بمناسبة أول سفر البابا الى أمريكا اللاتينية ، الذى كان سفرا سبق ترتيبه باتقان .

قبل هذا السفر بشهر ، كتب البابا لمؤتمر أساقفة البرازيل ، طالبا منهم أن يذكروا له عشرة أسئلة تظهر لهم أسئلة أساسية ، والعشرة أماكن المناسبة لمعالجة هذه الأسئلة ، وتمنى البابا أن يوضّحوا له وجهة نظر الأسقف المحلى . بالنسبة الى رسييف ، أوحى هلدز كمارة الى قداسته بالكلام عن مسألة الأرض . ويقول الأسقف : " أبديتُ رأيتُ لقداسته " . وقبل حضور البابا بأسبوع ، حصل كل من العشرة أساقفة المعنيين على نص العظة التى كان البابا يوحنا بولس الثانى مزمعا أن يلقيها فى مدينة الأسقف كمارة . كُنّا مدعويين أن نتقد ونصحح ما نظن نقده وتصحيحه ضروريا . فجمعت الأشخاص المعنيون مباشرة : زعماء الفلاحين ورؤساء الاكراخ وأعضاء لجنة الأرض الرعوية والمحامون . قرأت الخطبة المعدة ، وكان لها وقع عظيم فى نفوسنا : لأنها كانت ، من عمق القلب ، الكلمة التى كُنّا نتمناها . "

أثناء هذا الزمن ، كان البعض يقولون - بل يتوقعون - أن البابا يوحنا بولس الثانى يؤتّب الأسقف كمارة . ولكن ، عندما نزل البابا ، الآتى



من سالفادور - باهية ، من الطائرة بعد ظهر يوم ٧ يولية فى القاعدة الحربية الجوية ، توجه نحو رئيس الاساقفة كماره ، الذى كان ضائعا وسط الأزياء العسكرية ، وضعه طويلا إلى صدره . ثم وقف الرجلان جنبا إلى جنب فى السيارة الباهوية حيث تعلق بها ستة عشر رجلا مسلحين ليؤمنوا سلامة الركاب . - بضعة أيام قبل ذلك ، طلب شخص غير مسمى بالتليفون " يوميات برنامبوكو " ( وهى صحيفة رسييف ) وقال : " اذا رأينا كماره بجانب البايا سوف نقتله . " ولكن رئيس الاساقفة كماره كان مصمما على أن يعرب شعبه عن اكرامه للحرر الأعظم . وعبر البايا وهلدركماره ثلاثين كيلومترا وسط جمهورر مبتهيج .

فى رسييف ، أعد هيكلك القداس الاحتفالى على جسر واد يطل على روضة هائلة حيث تجمع ثلاث مائة ألف فلاح من كل منطقة البرنامبوك . وقال راعيهم كماره : " أيها الحرر الأعظم ؛ أنا على يقين أنك تريد أن تقبلهم جميعا واحدا واحدا . فاسمع لى بأن أقبل يديك باسمهم كلهم . فصاح الجمهور مشددا على مقاطع الكلمة : " ملك ، ملك ، ملك ، الأسقف هلدركماره ملكنا ! "

ومن جهته ، بدأ البايا يوحنا هولس الثانى خطبته بهذه الكلمات : " عزيزى الأسقف هلدرك ، أخ الفقراء وأخى . " وقد برزت من عظته الطويلة بضع كلمات أساسية جلبت تصفيقا حارا : " الأرض هبة الله ، هبة أعطيت لجميع الكائنات البشرية . فلا يجوز أن توزع هذه الهبة بصفة الأ ينتفع بها الأ عدد بسيط من الناس وكذلك من فوائدها . " وبالتالي ، لا بد من أن تستخدم القوانين حتى تحقق خير كل الناس وليس فقط مصالح أقليات أو أفراد . " ونوه البايا أيضا بشركات عدة دول تكون فى المنطقة أملاكا شاسعة وتطرد الملاك الصغار . وعندما تنتزع

تنتزع هذه الشركات أرض الفلاح وترمي به في ارتجال مليء بارتياحات في اتجاه عواصم كبيرة ، أو لا تضمن له حقوقه في ملكية الأرض الشرعية ، تؤكد هكذا أنها تحتقر حقوقه كإنسان وكابن الله .

وتلفظ أيضا قداسة البابا بهذه الجملة التي أثرت كالصدمة : " لا يجوز أن يكون الإنسان آلة إنتاج ، فالعمل غاية للإنسان وليس الإنسان غاية للعمل . "

لاشك في أن كان مثل هذه الأقوال وقع مختلف في نفوس أقسام المستمعين . كانت المنصة الرسمية في جانب من الهيكل ، وفي الجانب الآخر ضيوف أسقف ريسيف ، وهم أربعون فلاحا من برنامبوك ، وهم الذين - وليس الشخصيات الكبيرة - سوف يتناولون القران الأوائل من يد البابا يوحنا بولس الثاني .

بعد نهاية الاحتفال ، تابعت مسيرة الحبر الأعظم ورئيس الأساقفة عبر مركز ريسيف السكنى ، الذي هبط الليل عليه . أخيرا ، قاد هلدركمارة الحبر الأعظم الى مقرة . قال الأسقف : " أردت أن أريه غرفته ، ولكننا مررنا قبل ذلك بالمعبد ، وهناك أكب البابا على الصلاة ، وبعد بضع دقائق كان قد استرد قواه . وحينذاك نشر الأسقف أمام البابا خرائط ريسيف وأراه مواقع الأكواخ .

فتنت راعي ريسيف الطريقة التي انقضى بها سفر البابا يوحنا بولس الثاني ، فقال : " نطق الحبر الأعظم بكل ما أراد قوله . وفي هذه المرة ، لا يمكن للصحافة والتليفزيون أن تبترا خطبه مثلما فعلنا لمحاضرات مدلين وبوئبلا / Puebla . "

فى الراقع ، تظهر الحكومة البرازيلية مرتبكة . فى كل يوم كانت الأشخاص الرسمية تنوء بأهمية كلام البابا ، ولكن ، فى نفس الوقت ، كانت مقالات الصحافة الافتتاحية تحاول أن تعهد تناقضات بين مؤتمر أساقفة البرازيل والمحبر الأعظم . ولكن السكان لا ينخدعون : فيظهر لهم البابا بوحنا بولس الثانى كنصير العدالة ، وليس كالى أتى ليسترجع النظام فى كنيسة البرازيل .

شعر الأسقف كمارة برضى آخر ، كانت المرحلة التالية للبابا فى فورتليزة ، مسقط رأس الأسقف كمارة وكرسى صديقه الأسقفى الكردينال ألويو لورشيدر. Aloiso Lorscheider / أفتح البابا هناك المؤتمر القربانى الدولى العاشر ، ذا الموضوع المعبر : " الانخارستيا والهجرات " . مثل مؤتمر فيلادلفيا ، يربط هذا المؤتمر بين حضور المسيح المزدوج فى القربانة وفى الأشخاص ، وبالأخص فى المهاجرين .

فى السنة التابعة ، حصل الأسقف كمارة على علامة مودة جديدة من جهة البابا بوحنا بولس الثانى . قد كتب له البابا : " عند اقتراب يوم ١٥ أغسطس ( سنة ١٩٨١ ) الذى تحتفل فيه باليوبيل الذهبى لكهنوتك ، علمنا بفرح أنك تتأهب لاحياء ذكرى ذلك الاحتفال بصحبة الاكليروس وشعبك ، وأيضاً الثمانية كهنة المحترمين زملائك ، الذين رُسموا معك فى نفس اليوم سنة ١٩٣١ ، والذين سوف يقدسون معك حسب رغبتك . نحن نشارككم بفرح فى هذا الاحتفال . " وذيل البابا كلامه هذا بتلك العبارات : " يعرف الجميع كم غمرك فضل الله بهبات وقريحة وتقوى ... قد قمت بعدة وسالات بقيمة لا تثمن ... كان لك الله واخوانك قطبى قوس واحد تنهث منه شرارات محبة ... "

يوازي هذا الاكرام في نظر الأسقف هلدرا أكثر من جميع التقديرات الشرفية .  
يجيب على الذين يندهشون لعدم ترقيته الى منصب كردينال : " قد حصلت على  
هبة الحياة ثم ، في المعمودية ، على هبة الحياة الالهية ، ثم في التثبيت ،  
وبصفة خاصة ، على الروح القدس وهباته السبع ، ثم على الكهنوت ، وفي  
الأسقفية ، على تمام الكهنوت . ماذا يمكنني أن أفتناه أكثر من ذلك ؟ "

في سنة ١٩٨٤ ، عند وصوله الى الحد القانوني في سن الخامسة والسبعين ،  
قدم الأسقف كمارا استقالته الى البابا يوحنا بولس الثاني ، الذي قبلها في السنة  
التالية ، وعين ليخلفه الأسقف خوسيه كروزو سوبرينهو José Cardoso  
Sobrinho ، راهبا كرمليا في سن الواحدة والخمسين ، الذي كان الى ذلك الحين  
رئيس أساقفة بركاتو / Paracatu . وكان يقول الأسقف هلدرا : " قلت للحبر  
الأعظم أن الذي اخترته هو في نظري الذي اصطفاه الله . " وفي الواقع ، في يوم  
١٦ يولية سنة ١٩٨٥ ، في عيد سيّدة الكرمل ، شفيعه ريسيف ، قدم هلدرا  
كمارا الأسقف خوسيه للشعب أجمع كالراعي الجديد الذي اختاره الله . وأظهر  
رئيس الأساقفة الشاب كل رقة ازاء سلفه ، وطلب منه أن يبتى في ريسيف ،  
قائلا : " ان الرعية لنا نحن الاثنيين " . " وأجاب الأسقف خوسيه الذين كانوا  
يظنون أنه محافظ جدا : " أنا أحافظ جدا على آراء الأسقف هلدرا كمارا . " ولكن  
فيما بعد سرعان ما ظهر أن رعائيات الأسقف سوبرينهو كانت تختلف عن رعائيات  
هلدرا كمارا .

ماذا عمل رئيس الأساقفة السابق بعد احواله الى المعاش ؟ يقول الأسقف  
هلدرا : " قال لي يوحنا بولس الثاني : " سوف تنسحب من أعمال الرعية ، ولكن

اليس من السفر ، بما أن الله حفظ لك الصحة والذكاء ، فلا بد لك من المتابعة . "

" سوف أتابع اذن رسالتى : أن أعظ السلام من خلال العدالة والمحبة . وخارج هذه الأسفار ؟ " لم أقم قط بمشاريع شخصية . كان دائما طموح حياتى الكهبر أن أتطابق قريبا جدا مع ما يظهر لى كإرادة الله بالنسبة لى . يوم وصولى الى الأبدية ، أود أن يمكننى المقارنة بين خطة الله فى يد وكلّ حياتى فى اليد الأخرى .

آه ! كم أكون سعيدا اذا وُجد هذا التطابق بالرغم من نقائصى ! "



## الفصل الحادى عشر

### حياة هلدن كمارة الخاصة

يخلد شارع هنريك ديباز ، أحد شوارع ريسيف ، ذكرى زعيم أسود كافح فى القرن السابع عشر الاستعمار الهولندى . على جانب هذا الشارع توجد كنيسة " الحدود " ، أعدت سكن فى ملحقاتها للأسقف هلدن .

ذهب ليكن هناك فى أوائل سنة ١٩٨٦ بعدما ترك القصر الأسقفى . وهناك ، يتابع رئيس الأساقفة القديم حياته فى الفقر ، ولكن ليس فى اليأس . يتمتع فى هذا السكن بثلاث حجرات : فى الحجرة الأولى توجد طولة مستديرة وثلاثة كراسى وسرير معلق من الأمازونية نُصب أمام الشباك ، ويروق الأسقف أن يتأرجع عليه منصتا للموسيقى . وهذه الحجرة هى حجرة الإقامة . وتستخدم الحجرة المجاورة كمكتب : فيها مقعد وطاولة كبيرة تحمل أوراقا يظل قسم صغير منها فارغا يستعمل للكتابة . والحجرة الثالثة هى حجرة راحته . تسكن بجواره راهبات القديس منصور دى هول التى تدير مدرسة ممرضات ، وهى التى تحمل الى الأسقف كل الوجبات فى طنجرة مقسمة الى خانات .

يعيش الأسقف كمارة وحده . هو الذى يفتح للزوار الذين يقرعون الباب

الخشبي ، ذا اللون الأخضر الباهت ، أو يضرهون اليدين ثلاث مرآت علي الطريقة البرازيلية . فيظر هلدر كمارة صاحب السمع المرهف ويدخل الزائر الي حديقة صغيرة حيث تحمر شجرة ورد .

ان هذا الحبر لا يملك سيارة . وعلى كل لا نتخيله مكبا على مقود ، ولا لاجئا إلى خدمات سائق رسمي . ولكن لا تنقصه سيارات تقله من مكان إلى آخر . فعندما يخرج الى الشارع ويمشى بضع خطوات تقف عربة ويقول سائقها : " أيها الأسقف ، أين يمكنني أن أصحبك ؟ " لأن كل الناس يعرفونه . وفي السيارة ، أكانت سيارة شعبية قديمة أو سيارة أمريكية من أعلى طراز ، يدور الحوار ، مع سائق سيارة أجرة ، مع ربة عائلة أو رجل أعمال . يطرح السؤال ويستمع ، منحنيا نحو السائق ، سعيدا بهذه العلاقات التي لا يمكنه الاستغناء عنها .

ومثل الشخص الأكثر أمانة بين المحافظين على التقاليد ، نجد هذا الأسقف في هندايم يرتدى الثوب الكهنوتي ، ويقول : " لعلى أحد أواخر الذين يحافظون على ارتدائه ، ولكن ضباط العساكر في بلدي يحترمون على الأقل زي الرسمي . " في الماضي ، في الولايات المتحدة ، جرب ثوب رجال الدين الانجليكان ، ولكنه لاحظ أن هذا المظهر لا يناسبه فعرض عنه نهائيا . لا أثر للون البنفسجي على ردايه ، والصليب الذي على صدره من خشب . لديه خاتم واحد رعوي ، الخاتم الذي أهده البابا بولس السادس الى جميع آباء المجمع المسكوني ، ومع ذلك لا يضعه في اصبعه الأ عندما يحتفل بالانفخارستيا . وعلى رأسه لا يضع قبعة الا أنه أثناء السفر ، عندما يترك الطقس الاستوائي ، يحمي الرأس بقبعة عامل ، بخوذة ، أو بقبعة عسكرية بولاندية ، لا علاقة لها بالكهنوت ، أو يتلف في وشاح كبير .



وماكله ؟ يقول روبرت ماسون / Robert Masson ، رئيس تحرير مجلة " فرنسا الكاثوليكية " : " انه يتضم أكثر مما يأكل . " ففى وجبة مع بضعة أشخاص ، كان قد قبل بكلّ طيبة خاطر أن يشاركنا فيها ، جعلنا نخجل ؛ لأنه بعدما انتهى من أكل بيضة ترك صحنه جانبا ، وكانت نهاية وجبته . أمّا نحن فكنا فى أولها ... لعله فقد الشهية يوم رأى من نافذة غرفة طعامه عددا كبيرا من الرؤوس الجائعة تنظر اليه ... "

## رجل أخوى

سأل چاك شانسل الأسقف هلدر فى بداية الفحص بالأشعة السينية الذى ذكرناه :

- " هل تسمح لى بأن أدعوك " سيدنا " ؟

- فقال : " قل لى أخى " .

كان هذا الشعور بالأخوة الانسانية راسخا بعمق لدى الأسقف كمارا ، الذى يقول : " أمام كلّ خليفة بشرية ، أية كانت لغتها ، عرقها أو ديانتها ، يمكن الانسان هل يجب عليه أن يفكر : ها هو أخ ، ها هى أخت ، ويمكنه هل يجب عليه أن يتابع : أخ بالدم ، أخت بالدم ، لأن دم المسيح بالذات قد سفك من أجل كلّ البشر . "

بين جميع اخوانه يفضل الصغار والفقراء الذين تطابق يسوع نفسه معهم .

بعكى فرنسيس مايور / Francis Mayor ، رئيس تحرير " تليراما / Télérana " :  
" فى يوم ما قال لى الأسقف كمارة بفتة : " أتعلم ، ائى رأيت المسيح الملك ... " .  
وكان ذلك فى نظرى كأنها أنوار بركة لبصارين وجدوا فى لورد أو فاطمة ! ولكن  
لا . فشرح لى : " كنت وصلت منذ لحظة الى رسييف متضايقا ، فى قصر رئيس  
الأساقفة الذى أقيم فيه . وفى صباح ما ، رأيت على العتبة فقيرا ، شحاذاً ،  
فى الغالب . كان يدير قبّعتة بين يديه ولا يجرؤ على أن يتقدم . فقلت له :  
" تعال ، أدخل ، لا تخف ، هذا المنزل هو منزلك . ولكنّه ظلّ ثابتاً . فكررت له  
كلامى : " تعال ، أنت فى بيتك ، امش على السجّاد . ولكنّه لم يجرؤ بعد -  
وعليه ، خرجت لأتى به ، سحبته بذراعه و ... أجلسته على عرش رئيس  
الأساقفة ، وقلت : - آه ! ولكن ها هو المسيح الملك ! ... رأيتّه ، أقسم لك ! "

ولكنّ التفضيل لا يعنى ابعاد الآخرين ، فلا يزال الأسقف كمارة يفتح قلبه  
للجميع . لم يرفض قطّ الحوار ، حتّى مع ضباط العساكر فى زمن الحكم  
الاستبدادى . أجل ، أنّه اضطرّ أن يرفض بعض دعوات رسمية حيث وجوده كان  
يكفل النظام القائم . ولكن لم يبخل قطّ بوقته لحديث أو مراسلة : " ائى أجيب  
على جميع الرسائل - ما عدا الرسائل التى ترغب فى توقيعى ليس الأ . "

يؤكد أصدقاء الأسقف هلدر أنّهم لم يسمعه قطّ يفتاب أحدا ، رغم أنّ  
التجربة تكون سهلة عندما يرى أنّ خلفاءه يقومون بعكس ما فعل ، مثلما حصل  
حينما طردوا كلّ الفرقة الرعوية الريفية التى كان قد ربّتها ...

قال يوما ما : " الأفضل أن أسمع الربّ يقول لى ، يوم الدينونة : " أنت لن

يحكم عليك لأنك امتنعت عن أن تحكم على اخوانك . " ولنا أيضا منه هذا الاعتراف : " لا توجد نقطة من البفض في قلبى . "

فيلحّ الناس قائلين : " أحقًا ؟ ألم تشعر قطّ بهفض ضدّ أحد ، حتّى عندما نهوك عن الكلام في ذات بلدك ، حتّى عندما كانوا يهدّدونك بالموت ؟ "

لا ، حقًا . ولكن ليس لى استحقاق كبير . ان لم يثبت الحقد في قلبى فلأنّ لا أبى ولا أمى زرعاه فيه . لم أحسّ قطّ في المنزل بأصغر حقد ضدّ أحد . "

### ضد تجرية الكبرياء

يقول الأسقف كمارة في صلاته : " يا ربّ ، احم الأتبياء من تجرية الكبرياء التى تجعلهم يظنّون أنّهم صاروا ملوكا ! " . نحن في خطر أن نفقد عقلنا حينما الشعب في بساطته يشرع في اعتبارنا رجالا عظاما أو قديسين . لحسن الحظّ ، لنا طرق لحماية أنفسنا . على سبيل المثال ، عندما أحضّر نفسى لمقابلة جمهور المستمعين الذين يصفقون فرحا ويهتفون لى ، أدير وجهى نحو المسيح وأقول له بكلّ بساطة : " يا ربّ ، هذا هو دخولك الانتصارى الى اورشليم ، ولست أنا الأ الأتان الصغير الذى يملك . "

" تتعادل الهتافات والانتقادات . وقد تعلّمت أنّ المناقضة تساعد أكثر من المديح . فلا بدّ من قبولها كلقاح ضد الكبرياء . يجب أن نستقبل الافتراء ،

خاصة الافتراء الذى لا جواب لنا عليه ، كطريقة يستخدمها الرب ليقودنا الى بعيد على طريق الفقر . ولا يبقى لنا الا أن نفوض أمرنا الى الرب حتى ، اذا أراد ، يقنع المناقض وأن يصحح الافتراء . ويتمكن الرب من أن يقوم بعمل معجزات مذهشة !

أجل ، ان الأسقف كمارة يمكنه أن يعتمد على شعبه وعلى أصدقائه الشخصيين ليحافظوا على تواضعه . يقول : " أنهم يذيعون عني بعض هذه الحكايات المضحكة التى تنطق بأكثر مما تعبر عنه الخطاب . " وها هى حكاية يقصها بنفسه ، نجعلنا نظن أنه يبحث عن أن يعرض الأنظار على ذاته لدى وسائل الاعلام .

يحكى هلدر كمارة : " مت الساعة ووجدت نفسى فى السماء . استقبلنى القديس بطرس بحماس " أيها الأسقف هلدر ، أدخل بسرعة ، ينتظر الأصدقاء وقد جهزوا لك احتفالا ... " ولكنى لا أتحرك . يندهش القديس بطرس : " هيا أيها الأسقف ، أدخل ، لعلك تظن أن من واجبك أن تقدم أوراقا ؟ " كلا ، ليست أوراقا . " لا أتحرك بعد ، والقديس بطرس لا يفهم سبب ذلك ، فيقول : " عادة جميع من يصلون إلى هنا يسرعون فى الدخول ، وأنت تبقى خارجا ... " وقتئذ تقول الحكاية انى تطلعت بدون جدوى يمينا وشمالا ، ثم انتهيت بميلى نحو القديس بطرس لأطلب منه بصوت خافت : " يا قديس بطرس ، ألم تنس أن تدعو الصحافة ؟ "

" فى الحقيقة ، هى وسائل الاعلام التى تسرع الى الأسقف . يشهد على ذلك فرنسيس مايور قائلا : " تتنازع اذاعات العالم التلفزيونية . " وكنا نسميه مزاحا الأب كاميرا ( وهى آلة التصوير ) . "

## السهر الليلي

كل ليلة ، عندما يرقد هلدنر كمارة في سريره ، حوالي الساعة الحادية عشرة ، يضبط منبهه على الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وفي تلك الساعة يقوم من نومه ، وهي ساعة سهرة . في سكون الليل - حيث لا يسمع التليفون ولا تفاجئه زيارة - يفتح باب غرفته التي تطل على خورس الكنيسة ويكرس نفسه للتأمل .

" انها عادة اتخذها منذ سنين الاكليريكية : " كنت قررت ان اسلم ذاتي بلا قيد أو شرط لله ولقريبى ، ففهمت أنه يجب على اطلاقا أن أكرس وقتا لأسمع الرب وأتوجه اليه بالصلاة . ومنذئذ ، أستغل السهولة التي أعطانى الله ايهاا ، وهي أن أستيقظ ليلا ، ثم أرقد ثانية بدون صعوبة . " وأرجو ألا يتخيل الناس أنى منذور لحياة التوبة بصفة خاصة ، فليست اماتة بالنسبة لى أن أسهر وأصلى . " "أنا نرتكب ظلما نحر انفسنا ان لم نعطيها فرصة لتتعافى ، مثلما نعطي راحة لجسدنا . " أثناء النهار ، انى أتشتت : تقودنى عيناي وذراعاى وسيقانى الى كل أنواع الجهات ، وتقودنى رأسى يعلم الله أين . خلال أزمئة الليل المفضلة هذه ، أحاول أن أستعيد وحدة كرتى ، ووحدة حياتى ، وهذه الوحدة هي وحدتنا فى المسيح منذ عمادنا . "

حالما نكون واحدا مع المسيح ، ما أشد سرورنا عندما نتحدث مع أهبنا السماوى ، باسم جميع البشر ، وجميع الأماكن والأزمنة ... عندما أصبح واحدا ، المسيح وأنا ، يمكننا أن نعبد أهبانا ، ويلدّ لى أن أتذكر كل ما رأت عيناي من أجمل الأمور فى حياتى وأشكره وأطلب منه الغفران ، ويلدّ لى أن أقول آنذاك :

" يا ربّ أنا حقيقة سفير الضعف البشرى ، لأنّ الخطايا التى ارتكبت ، أمّا أنّى ارتكبتها أو يمكننى أن ارتكبتها ، وأقدمّ له تعالى كلّ مطالب البشر ، اخوانى . ومع المسيح أيضا أحياء ثانية كلّ مقابلاتى اليومية . ألقى ثانية ربّة البيت التى أطلعتنى على مشاكلها مع زوجها وأولادها وعلى الجوع فى منزلها . وأرى أيضا من جديد هذا العامل الذى كان هناك فى الشارع ، يجمع صناديق القمامة ، ولم يجرؤ أن يسلم بيده ، وكنت أجبره على ذلك قائلا : " يا صاح ، الذى يوسخ أهدينا ليس هو الشغل بل الأثانية . " هذا الرجل ، فرنسيسكو أو أنطونيو ، يذكرنى بجميع عمال العالم . وحينذاك أقول لأخيونا المسيح : " يا ربّ ، بعد موتك بألفى سنة ، لا يزال الشرّ والظلم دائما عظيمين . "

أثناء سهرة تنشأ مزامير ومقطوعات شعرية وتأمّلات - وفى صلاة الزمن الحاضر " كتاب الفرض المستعمل فى البلاد الناطقة بالفرنسية ، يتلو صلاة السحر ، متّحدا سرّيا بجميع الرهبان والراهبات الذين ، عبر العالم ، يرتلون صلاة الليل . مثل الحارس الذى ينتظر الفجر ، يتأهب لقداس السحر ، لأنّه بعد سهرة يرتاح ساعة ونصف ثمّ يقوم بتقديم الذبيحة الإلهية فى كنيسة داس - فرونتيراس / Das Fronteiras التى ليست بعد كنيسة رعوية . ويلتفّ حوله أثناء فقرء وبعض أهل الحيّ وراهبات وزوآر ، يستقبلهم بعد الاحتفال حول فنجان قهوة .

برافله دائما حضور المسيح

طلب منه جاك شانسيل يوما ما : " أيها الأسقف ، انّى لك هذا النشاط ؟ "

- من قدّاس كلّ صباح . فى الافخارستيا توجد هذه المقابلة الشخصية مع  
لمسيح . حقًا ، انه قبل ذلك موجود فينا ، ولكن عندما نتحد به فى القربان  
المقدّس يصبح وجوده أقوى . "

فى مرة أخرى ، أفضى اليها بسرّ : " كلّ صباح أشعر كأنى أقوم بقداسى  
الأول . فالقدّاس هو قمة كلّ يوم ، انه يرافقتى طوال اليوم . " ويمكنه أن يقول  
مثل مادرة تريزة : " انى أقتات بالمسيح كلّ صباح فى الافخارستيا ، ثم أقابله  
طوال اليوم فى اخوانى . هو نفس شخص يسوع على الهيكل وفى الشارع . "

هذا الحضور الذى لا يبعد عنه ، يشعر به من جديد هلدر كمارة بطريقة كاملة  
فى النهار عندما تسنح له فترة راحة صغيرة . مثل فى مساء أكتوبر سنة  
١٩٧٧ ، حيث كان على وشك القاء محاضرة فى مدينة ليل : امتلأ قصر الألعاب  
الرياضية ، واستعدّ عشرة آلاف شخص لاستقباله بالترتيل مع فريق " ايقاع  
وصلاة " . ولكنه كان بعد فى أئينا صباح هذا اليوم . وكان مشغولا جدا بعد  
ظهر اليوم ، ولم يأكل هذا المساء الأ ربع شريحة من " الجنبون " ، وتقاطيع وجهه  
مشدودة . ويحكى شاهد : " حوالى الساعة الثامنة الأ ربع مساءً دخل إلى خلفيّة  
المسرح وصافح بعض أشخاص ثم ذهب ليجلس فى ركن مظلم حيث ظهر مهبوطا  
خائر القوى . ألم تنهكه كلّ مقابلات اليوم ؟ كفا قلقين ، فاقترينا منه بحذر ،  
مستعدين أن تعرض عليه مشروبا منشطا . ولكننا وقفنا مذهولين : كان الأسقف  
مستغرقا فى الصلاة . وبعد قليل وجدناه راكعا على أرض من الأسمنت ، وأثناء  
أكثر من ربع ساعة غاب عنه كلّ ما يحصل حوله ، وعندما نهض كان مشعا ،  
زال عنه كلّ أثر من تعب ، وتقدّم لمقابلة الجمهور الذى حياه بحماس . "

## روح فرنسيسكانية

يرتاح الأسقف كمارة لبعض القديسين البسطاء : ها هي كلمة القديس منصور دي بول تفيطه : " لاهد من أن نغزو بالمحبة حق العطاء . " ويعز بصفة خاصة القديس فرنسيس الأسيزي : فهو يحب الطبيعة مثله ويشعر بأنه متضامن مع سائر المخلوقات فيقول : " نحن أخوة الجوامد " : نشغل مكاتنا ونخضع لقانون الجاذبية . نحن أخوة النباتات : ائنا نولد ونتنفس ونأكل ونكبر ونموت . نحن أخوة الحيوانات : هي تتألم وتسمع وترى . نحن نشارك في طبيعة الملائكة حتى وفي عقل الله وقدرته الخلاقة . "

هو يمدح أختنا الأرض قائلاً : " هي في مجرتنا الصغيرة ليست الأرض الأ ذرة تراب . ولكنها سوف تحتفظ دائماً بالمجد لأنها اختيرت لتجسد ابن الله ... ائنا لا نكرم بالكفاية ذكاء الرب ومخيلته الخلاقة ، هو الذي خلق مليارات الكواكب لتتلاها بعيداً وتبهج نظر البشر ليلاً ... عندما يبدأ النزول الحقيقي على الكواكب ، قد يمكن الانسان أن يقيس كم أن الرب أكبر وأعظم سخاء الى أقصى حدّ مما نتخيّله قط . "

لا ينطبق البتة على الأسقف كمارة المثل القائل : " قديس كتيب يرثي له لأنه بعيد عن القداسة " . فالفرح بضىء وجهه : في يوم من شهر مارس سنة ١٩٧٥ ، في السيارة التي كانت تقله من جرونوبل الى ليون / de Grenoble à Lyon ، كان يسر الى أحد رفاق سفره : " ائسى وقعت مع الله عقد فرح أجدهه أربع مرات في السنة : ثالث أحد ما قبل



الميلاد ، الأحد الرابع من الصوم الكبير (١) ، يوم ١٥ أغسطس ويوم عيد  
القديس فرنسيس . "

يحبّ الأسقف كمارة الأزهار ، ويعشق بصفة خاصّة " الورد " وله غرس منه  
في حديقته . " في صباح يوم كنت خارجا من منزلي ولاحظت أنّ النمل قد أكل  
أوراق شجرة وردى ، واعتبرت هذا مسألة خطيرة . فالتحيت وأخذت نملة  
واحتفظت بها في يدي ، ثمّ نظرت إليها وجها لوجه وقلت لها : " لماذا تأكلين  
شجرة وردى ... ؟ " ولكنّ الذي حصل أنّ النملة أعطتني درسا : كانت في يدي ،  
مرتعدة من الخوف وتنظر اليّ . ثمّ أجابت " لماذا يكون لك وحدك الحقّ في محبة  
شجرة الورد ؟ "

ببساطة الأطفال ، بينما يهمل مناقشات اللاهوتيين ، يكنّ يتقوى شخصية  
لملاكه الحارس ، ويقول : " بما أنّي أجهل اسمه الحقيقي ، أدعوه باسم " خوسيه " ،  
الاسم الذي كانت والدتي تدعوني به عندما تجدني في حالة ضيق ، قائلة :  
" تشجّع يا خوسيه ! " وكان الأسقف كمارة يفوض أمره الى ملاكه الحارس في  
الأزمة الصعبة . هكذا فعل يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٠ عند مقابلته الأولى مع  
الأسقف مونتيني - الذي سيكون البابا بولس السادس - والذي كان يرغب في

---

(١) في هذين الأحدين ، تهتف الكنيسة بقول : " أفرحوا " .

اقناعه بضرورة انشاء مؤتمر أساقفة البرازيل . فى الليلة التى سبقت المقابلة ، وفى ساعة سهره المعتاد ، نهض ولاحظ أن شيئاً يسيل من أذنيه ، وكانت دماً . وفى صباح الغد عندما حضر اكليريكى برازيلى ليصحبه للقُدَّاس ، أدرك أنه لا يسمع شيئاً . " وعليه ، قلت لخوسيه ( ملاكى الحارس ) : " لو لم يكن مشروع هذا المؤتمر الأ فكرة شخصية ، أقبل ألا أسمع شيئاً ، ولكن ، اذا كان فى خطة الرب ، اسمع لى بأن أسمع وأن يفهمنى الآخرون " . وقام خوسيه بواجبه خير قيام : وسمعت كالعادة . ولكن ، عندما خرجت من القاتيكان ، لم أسمع من جديد . فكنت أتصل بالآخرين بحركات أو ببطاقات صغيرة . وكانت بداية تمزيق طبلات الأذنين " .

### طفل مريم

مثل كل مسيحي ، يرغب هلدو كمارة أن يكون طفل العذراء مريم ، يكن لها محبة يعبر عنها بلهجات حنان ، لأنه يريد أن يكون شاعرها ومغنيها الجوال :

يا فجر صاف للغاية ، الذى باتى الينا بشمس المحبة ...

ابنك ولد قبل الآن ، ومع ذلك لا تزالين حبلى ، ممتلئة نعمة ، ممتلئة من

الله ...

انك مغمورة الى حد أنك عند كل خطوة ، كل حركة ، كل فكرة ، تفيضين

وترمين على البشر النعمة الالهية المتجسدة التى أنت أناؤها الأزلى .

ترافقتى صورتك طوال اليوم ، كخلفية موسيقية ، تفيض على يومى رثات

وجمالا ، وكعطر ناعم جداً يعطرنا فى كل لحظة ... "

وما أن مريم أم جميع البشر ، بما فيهم الخطاة ، يطيب للأسقف هلدر أن يطيل  
الطلبات المريمية ببضعة ابتهالات :

يا سيّدة جاحدي دينهم ، يا ملكة الهراطقة ، يا أمّ اليفايما ، يا خلاص  
الساخرين ، صلي لأجلنا !

يا زهرة الخجولين ، يا شجاعة المتماثلين للشفاء ، يا رقاد الذين يعانون  
الأرق ، يا راحة الفارقين في الأوهام ، صلي لأجلنا !

ويرى الأسقف الثلاث فضائل الالهية متجسدة في مريم :

- الايمان : يتلخّص فيك كل سرّ من اسرار عقيدتنا : أنت بنت الأب السماوي  
وأم يسوع المسيح وزوجة الروح القدس .

- الرجاء : ماذا سوف يقع علينا لو تكن المحامية التي لديها هبة تسكين  
وتهدئة الحاكم ؟

- المحبة : توازي ممتلئة نعمة ممتلئة محبة .

بعهد بوحدة المسيحيين الى أم الكنيسة قائلا : " يا أمّاه ، أنت التي رفعت  
مرارا ثياب المسيح ، كنت تقومين بهذا الترقيع بمحبة عظيمة الى حدّ أن معالمها  
كانت تطفو في أعين الملائكة أنفسهم ، اجمعى قطع قميص ابنك وأصلحي ، يا  
سيّدتنا ، الثوب الرمزي الذي نسجته يوم ما بيديك . "

بتقواه المريمية ، ينسجم الأسقف كمارة مع شعبه قائلا : " في أمريكا اللاتينية

لا مساس بمريم ، حتى الذين يشكّون في ايمانهم أو يقرّون بأنهم ملحدون ، يُكرمون مريم حقًا : انّ البرازيليين يخلطون بين العذراء مريم و( ييمانخة ) الهة البحر . عندما أرى يوم ٨ ديسمبر ، أتخيّل أنّ ثلثي الجماهير الجرارة التي تتجمّع لعيد الحبيل بلا دنس تفكّر في الهة البحر : وهذا خلط بين ديانة افريقية معروفة والمسيحية . ولكنّ العذراء جديرة بأن تعرف أبنائها . " وينسّر هذا قائلاً : " أحياناً ، يقرع زوكر باب منزلي منادين : الأسقف هلدة ! الأسقف هبية ... بكلّ أنواع الأسمى . فليس غلطة الشعب اذا كان اسمى معقداً بالنسبة اليه . فهل سأقول : " ليس هو هنا ، لا يوجد هنا الأسقف هلدة ولا الأسقف هبية ؟ " كلا ، لا أحتاج الى أن يُلفظ اسمى بمنتهى الصواب حتى أعرف أنّ الشعب يدعونني أنا . ولذا ، فبالنسبة الى أمّ الله ، التي هي أمّ البشر ، أمّ الخطاة ، لا توجد مشكلة اذا شعرت بنوع من الخلط بين اسمها واسم الهة البحر ...

## أمام الموت

" يا قديسة مريم ، صلى لأجلنا ... في ساعة موتنا . " كم من مرّة وجّه الأسقف كمارة هذه الصلاة الى مريم ا كان يقول : " لا أعرف متى أرحل من هذا العالم ، ولكنّ ما أطلبه من الربّ هو أن أستخدم الوقت الطويل أو القصير الذي يخصّصه لي استخداماً حسناً . ليست الحياة مسألة طول أو قصر وقت . انّى أفكّر في الوردة ، هي لا تحيا حقيقة الأيوما ، ومع ذلك لا أحد يقول أنّها فاشلة ، لأنّها محقّقة في يوم واحد كمال هبات الربّ . خلقت لتكون جميلة ، لتفتننا ، لتعطي عطراً زمن يوم . "

يقول أيضا : " الموت لا يشغلنى . لا أظنّ أنى بدون خطيئة ، ولكنّ شعارى هو : " بين يديك يا ربّ " . أجل ، بين يدي الأب أتمكّن من أن أستسلم بثقة تامّة . فالله ، الذى يعرفنى أكثر مما أعرف نفسى ، يعلم جيّدا أنّ فى ضعفنا أكثر من خبث ، ورحمته أعظم من أضعافى بلا نهاية . وهذا يعطينى رجاء عظيما . "

" متى سيأتى هذا الأخ الذى نسّميه الموت ؟ الآن كلّ شيء يسير سيرا حسنا : لا يزال ممكنا لى أن أتحمل سباق هذا العدو الطويل الذى هو أسفارى ، ولكنّ قلبى يقول لى إنّه حان وقت الاستعداد لهذا النزول الأخير من سفينة الحياة . أفكر فى كريستوف كولومب / Christophe Colomb ، فى فرجه عندما لمح علامات الأرض الأولى . هكذا تعطى الشيخوخة رجاء الاقتراب بعد قليل من أرض الميعاد . "



## الفصل الثاني عشر

### علامات رجاء

يقول جان طولا / Jean Toulat ، ( صاحب سيرة هلدر كمارة هذه التي نقلتها إلى اللغة العربية بتصرف ) " كان لي حديث أخير مع الأستاذ كمارة في شقته ، تحت ظل كنيسة داس فرونتيراس :

قال : " انّ معاصرنا مشغولون كثيرا بدنو فترة ألفية جديدة ، ولكن ، بالنسبة الينا ، نحن معشر المسيحيين ، انّ التحدي أعظم من هذا الانتشغال ، لأنّ هذه الفترة الألفية الجديدة هي الثالثة من العصر المسيحي . فعند عشرين جيلا ، ماذا عملنا بتعاليم المسيح وأمثاله ؟ احدى الملاحظات الحزينة للغاية هي أنّ الفئة الصغيرة من البلاد ، التي لا تزال تفتنى أكثر فأكثر والتي تسيطر على القسم الأكبر من البشرية ، تتكوّن من بلاد مسيحية ، على الأقل بالنسبة الى أصلها . ويكرّر قسم العالم الفقير المسيحي المظالم ذاتها التي ارتكبتها مسيحية أوروبا ومسيحية أمريكا الشماليّة . "

ومع ذلك ، ورغم هذا الظلام ، يبصر الأستاذ هلدر علامات رجاء : أربعا بوجه خاص :

يقول : " أينما أذهب ، فى أى بلد ، أقابل أناسا لهم ، أبعد من عرقهم ، من دينهم ، ومن مذهبيتهم ، قاسم مشترك هو عطش للعدالة وجوع للسلام ، يدفعانهم الى ارادة بناء عالم يتميز باخاء أعظم ، لأنهم يشعرون بأنهم أعضاء أسرة بشرية . تطيب لى الأغنية البرازيلية التى تقول : " عندما يحلم المرء وحده ، ليس حلمه الأحلام بعد ، ولكن عندما تحلم مجموعة من الناس معا ، فعلمها منذ الآن حقيقة . " " النظرة الخيالية المشتركة ، هذه هى محرك التاريخ . "

ان تقارب الأفكار هذا ، ينسبه الأسقف كمارة الى الروح الالهى " الذى لا يؤثر فى الناس بشدة الأحيانا يكون العالم فى مأزق حرج . "

ويرى الأسقف علامة رجاء أخرى ، وهى ، فى العالم ، نمو العمل الملهم بالمسألة ، وهو ، فى نظره ، فى صلب الانجيل . فانه رأى جائزة نوبل للسلام تتوج رؤوس شخصيات تعزز بالسلام ، مثل مارتن لوثر كنج والارلنديتين بتسى وليمز / Betty Williams وميريد كوريجان / et Meraid Korrigan وأدولفو بيريز اسكيثيل والمطران دسموند توتو وليش فالبيزة . وقد أعلن هذا الأخير قائلا : " سوف تكون المسألة سلاح القرن الواحد والعشرين . " وهناك غير مؤمنين يتجهون أيضا نحو المسألة ، مثل صديقه ليونيد بليوشتش الذى ، بعدما أطلق سراحه المستشفى الخاص ، المتخصص فى طب الأمراض النفسانية ، أعلن حال وصوله الى فرنسا : " ان النضالات العنيفة عقيمة وتولد الاحكام الاستبدادية الدموية ، سواء من اليسار أو من اليمين . يميل أملى نحو كفاح مسالم وهادى . أجل ، ان أحداث الشيلي تؤدى الى الاظهار أن الكفاح المسالم محال حقيقة ، ولكنى أصر على أملى فى كفاح مسالم . "



## التجدة الروحي

وفي نظر الأسقف كمارة ، ان الرجاء هو أيضا في هذا التجدة الروحي الذي تحققت احدي تظاهراته الأكثر وضوحا في حركة هبات الروح القدس . وهذه هي العلامة الثالثة .

يقول الأسقف : " كان الروح القدس بالنسبة الى كثير من المسيحيين حقيقة بعيدة ، أقنوما لعب دورا في الماضي : في الخلق وفي العنصرة . " "وهي هي العلامة التي يباشر استخدام تجدة هبات الروح القدس ليدكرنا بحضور الروح وعمله الدائم في الكنيسة وفي العالم . "

هذه الحركة هي اذن فرصة طيبة للكنيسة وللعالم . ولكن ، على شرط أن نتجنب بعض أخطار ، مثل أن نسر بهبات الروح لتتوقع على ذاتنا وننسى أن الكفاح والمشاهدة الروحية مرتبطان معا . وعليه ، يتوجه الأسقف كمارة في مؤلف حقه مع صديقه الكردي بنال سوينانس ، يقول فيه رأسا الى " اخوانه المولعين بهبات الروح " : " أدعوكم الى أن تعيشوا تحت قيادة الروح وفي نفس الوقت أن تتركوه يقودكم الى قلب العالم ، الى صلب مشاكل البشر . الهبات لا شيء ان لم تكن في خدمة المحبة الأخوية . لا بد من الربط بين الصلاة والعمل . "

" ساعدوا المقتنعين بأن حالة الاخوة المظلومين ، المرهقين ، بشعة إلى حد أنه لا بد من أن يسمع لهم فوراً بأن يحيوا في أوضاع انسانية قبلما يبشرون بالانجيل . فالتبشير والانسانية يسيران على قدم المساواة .. "

" أنتم الذين يحبون الصلاة ، ظللوا يقظين ، حتى لا تظهر الصلاة أبدا كبديل للعمل الرسولي والاجتماعي ، وحتى لا يُنتقد الدين ، دونما ينسون الأهدية ، يدكرون أن الأهدية تبدأ هنا والآن . " " استندوا الى التجدد في الروح لتساعدوا الكنيسة على أن تتخلص من التجارب الانتصارية وأن تصبح دائما حضورا حيا للمسيح في خدمة البشر ومجد الله .

## الأديان والسلام

والدافع الرابع إلى الرجاء هو النزعة إلى توحيد الكنائس ، المتسع إلى جميع الأديان في خدمة السلام . فقد ظهرت بوضوح يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٨٦ في " قمة " أسيزي حيث ، رداً على دعوة البابا بولس الثاني ، صلى جنبا إلى جنب الناطقون بلسان كبار العقائد في العالم ، ممثلين ثلاثة مليارات من المؤمنين ، أعنى أغلبية الانسانية . وهم يكوّنون رأس مال هائل من الأخوة ، بما أن قوانين ايمانهم المختلفة تعتبر سائر الناس الآخرين كخلائق الله . قد لاحظنا بفتنة أننا نحلم مع الأسقف هلدنر ونقول : " لو كان جميع المؤمنين يحبون ايمانهم ولو ارادوا أن يأخذوا بأيدي بعضهم البعض طفقوا قوة وسلام ليس بعدهما قوة . "

منذ سنة ١٩٦٨ أنشئ في نيودلهي / New Delhi مؤتمر الأديان العالمي للسلام . ومنذئذ عُقدت أربع جلسات كاملة . أثناء الجلسة الأخيرة ، في نايروبي / Nairobi ، في سنة ١٩٨٥ ، تناول الست مائة مشترك في الجلسة ، المنتحون الى سقّين بلدا ، مسائل زمنا الهامة ( النزاعات الاقليمية ونزع السلاح والتنمية

وحقوق الانسان ) وقرروا : " يجب أن نحول الايمان والرجاء اللذين نعيهما الى عمل ملىء بالقوة لصالح كرامة الانسان وسلام العالم . "

وكان الأسقف كمارة حاضرا بالطبع أثناء هذا النشاط . ذهب سنة ١٩٨٧ الى اليابان ليشارك في لقاء آخر جمع رؤساء الأديان الكبيرة ، والآن يدبر نظره نحو اجتماع المسيحيين العالمى المزمع عقده فى سيول / Séoul فى سنة ١٩٩٠ ، الذى يرمى الى ثلاثة أهداف : العدالة والسلام وحماية الخلق . يريد أصحاب فكرة هذا الاجتماع أن يتخطوا اللاهوت التقليدى الخاص " بالحرب العادلة " ، مقتنعين أنه لا بد من البحث عن ترسيخ نظام قانونى ، عالمى ، يستبعد الحرب : حرب يمكنها فى العصر النووى أن تهدم عمل الخالق .

ازاء مثل هذا التهديد ، يبدى الأسقف كمارة شعوره : " لا يمكننى أتخيل أن عالما خلقه اله هو محبة وحرره ابن الله هو محبة وأثبتته الروح القدس الذى هو محبة ، قد يسمح الله أبدا بترك الكلمة الحاسمة للأثانية والبغض والموت . اذا استمع الله قديما ، فى زمن الفراعنة ، الى أنين شعبه ، ألا سوف يستمع اليوم الى صرخة البشرية ؟ "

يحصل الأسقف هلدنر كمارة على رجاء ثابت : سوف تبقى الكلمة الأخيرة للمحبة الالهية .



## الحاتمة

لا يزال الأسقف هلدر كمارة على قيد الحياة ، وقد تعدى سن الثمانين  
بقليل .

رجع الى البرازيل ، ويعيش في ريسيف التي كان رئيس أساقفتها سابقاً ،  
ولكن لعله ، بسبب كبر سنّه ، قد قدم استقالته بعد الخامسة والسعين من عمره  
وهو الآن لا منصب له ولا أبرشية ولا عمل معين ، يحيا تحت رعاية الله ليس  
إلا ، بعيدا عن اضطهادات الحكام نظرا لأنه حبيب الجماهير الشعبية التي تقدره  
كلّ التقدير .

ولكن ، في الواقع ، إن الأسقف هلدر يعيش في رجاء ضدّ كل رجاء ، لأنّ  
بلده لم يتغير حيث لا يزال ملاك أثرياء يملكون آلاف مؤلّفة من الفدادين ويسخرون  
أى يستغلون فلاحين هم أشبه بالعبيد منهم بالبشر الأحرار ، ولم يجد بعد قضية  
الملكيّة حلاً ولا تقدماً .

ولكنّ الأسقف هلدر ، اذ يبكى على حال بلده ويرى أنّ من خلفوه لم يقتدوا  
به بل جاءت أفكارهم وتصرفاتهم معارضة لأفكاره وتصرفاته ، قد فهم ان الله

سمح له بهذه المحنة القاسية ، وهي أن يشعر بفشل حياته ومجهوداته الجبارة في شيخوخته ، ويرى نفسه مكتوف اليدين وأولاده الفقراء والبسطاء لا يزالون في بؤس وبأس .

لا شك في أن الأسقف يعزّ وطنه البرازيل أكثر من أي وقت مضى ، وأنه يتضرّع الى الله من أجله ، ولا ينسى أنه تقدّس هو شخصياً بموجب الصعوبات التي أحاطت به طويلاً وتعلم ألا يعيش لنفسه ، ولذا أراه الله أن قداسة عدد لا بأس به من مواطنينه نبتت من دم اخوانهم الشهداء .

## مطبوعات الآباء اليسوعيين في مصر

### \* سلسلة « الايمان والحياة »

- ١ - سير لبيب : المسيحي في العالم المعاصر - ١٩٧٦
- ٢ - روفائيل خزام اليسوعي : هل أنا حر ؟ - ١٩٧٦
- ٣ - فاضل سيداروس اليسوعي : حياة الصلاة وصلاة الحياة - ١٩٧٧
- ٤ - هنري بولاد اليسوعي : ولادة الموت - ١٩٧٧
- ٥ - فاضل سيداروس اليسوعي : المجتمع في ميزان الكنيسة - ١٩٧٩
- ٦ - أولفريد برج - أوليثيبه اليسوعي ، روفائيل خزام اليسوعي ، فاضل سيداروس اليسوعي :  
علمنا أن نصلي - ١٩٨٥ - الطبعة الثانية : ١٩٩١
- ٧ - هنري بولاد اليسوعي : الانسان - ١٩٨٥
- ٨ - روفائيل خزام اليسوعي : من أجل حياة زوجية سعيدة - ١٩٨٧
- ٩ - هنري بولاد اليسوعي : أبعاد الحب - ١٩٨٩
- ١٠ - روفائيل خزام اليسوعي : هل لله مشيئة خاصة في حياتك ؟ - ١٩٩١
- ١١ - روفائيل خزام اليسوعي : صرخة الفقراء ( هلدر كماره ) - ١٩٩٢

### \* سلسلة « الأسرار والحياة »

- ١ - فاضل سيداروس اليسوعي : مدخل إلى الأسرار - ١٩٨١
- ٢ - فاضل سيداروس اليسوعي : سر المصالحة - ١٩٨٢
- ٣ - فاضل سيداروس اليسوعي : سر الإنفخارستيا - ١٩٨٩

\* سلسلة « الروح والنفس » \*

١ - أولفريج - أولثيبه اليسوعي : ولادة الحياة الجديدة - ١٩٨٢

\* كتب مترجمة \*

- \* الطريق الذي يؤدي الي الحياة : يوميات جايي - تعريب روفائيل خزام اليسوعي - ١٩٧٥
- \* سيراً نحو الحب ( ٣ أجزاء ) تأليف الدكتور فرانسوا جوست - تعريب روفائيل خزام اليسوعي - ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ( نفذ )
- \* من أنت يا إغناطيوس دي لويولا ؟ - تأليف چان كلود دوتيل اليسوعي - تعريب روفائيل خزام اليسوعي - ١٩٧٦
- \* سيراً نحو النجاح - تأليف ميشيل كواست - تعريب الأب لويس نصري - ١٩٨٠
- \* لماذا اخترت يسوع المسيح ؟ - تأليف برنار برنير - تعريب روفائيل خزام اليسوعي - ١٩٨٠
- \* القديس إغناطيوس دي لويولا والرهبانية اليسوعية - تأليف ألان جيبارمو - تعريب الأب لويس نصري - ١٩٨٤

\* منوعات \*

Fadel Sidarouss s.j., Eglise Copte et Moderne - 2 Tomes - 1978

- \* روفائيل خزام اليسوعي : ما فيش فائدة - ١٩٧٨
- \* شارل جاليه اليسوعي : قصة يسوع - قصص يسوع ( رسومات للأطفال في جزئين ) - ١٩٨١
- \* روفائيل خزام اليسوعي : أضواء وظلال - ١٩٨٣



# الفهرست

| الصفحة |  |
|--------|--|
| ١      | المقدمة .....  |
| ٥      | نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية .....                   |
| ١١     | الفصل الأول : ابن القرية البرازيلية فورتليزة .....     |
| ٢٥     | خريطة البرازيل .....                                   |
| ٢٦     | بعض معالم تاريخ البرازيل .....                         |
|        | الفصل الثاني : عمل الأب هلدر كمارة ثماني وعشرين سنة في |
| ٢٧     | ريودي چانيرو .....                                     |
| ٣٧     | الفصل الثالث : في خلفية المجمع الفتيكاني الثاني .....  |
| ٤٥     | الفصل الرابع : رئيس أساقفة ريسيف .....                 |
| ٥٥     | الفصل الخامس : في مجابهة الطفيان .....                 |
| ٦٥     | الفصل السادس : أنه يرفض التعذيب .....                  |
| ٧٥     | الفصل السابع : العالم رعيتي .....                      |
| ٩٣     | الفصل الثامن : العبيد الجدد .....                      |
| ١٠٧    | الفصل التاسع : سلاح المسالمة .....                     |
| ١٢٩    | الفصل العاشر : رجل الكنيسة .....                       |
| ١٤٧    | الفصل الحادي عشر : حياة هلدر كمارة الخاصة .....        |
| ١٦٣    | الفصل الثاني عشر : علامات رجاء .....                   |
| ١٦٩    | الخاتمة .....  |

دار جالكسي للطباعة والنشر

٤١ شارع عبد الستار ياسين - الهرم - تليفون : ٨٥٨٥٨٧

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٥٩٦ / ١٩٩١

I.S.B.N. 977-00-2508-9



## سلسلة " الايمان والحياة "

تستهدف هذه السلسلة مساعدة المسيحيين - ولا سيّما الشباب - على التفكير المسيحي في الارتباط الوثيق بين الايمان والحياة . فليس الايمان منفصلا عن واقع الحياة ولا الحياة عن الايمان ، انّما الانسان المسيحي وحدة شاملة ومتلاحمة ، يحيا حياته الايمانية في المجتمع البشري ، كما يحيا حياته الاجتماعية بنور ايمانه . هذه العلاقة المتجانسة والوحدة المتكاملة بين الايمان والحياة محور هذه السلسلة .

لجنة التأليف والنشر

ص . ب . ٧٣ ، الفجالة - القاهرة